

دراسة بحثية

# تمكين أم استعباد: دراسة تحليلية في الخطاب الجندري لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)



يونيو/حزيران 2018  
هيئة الأمم المتحدة للمرأة

عن الدراسة

تمت هذه الدراسة بتكليف من هيئة الأمم المتحدة للمرأة، المكتب الإقليمي للدول العربية؛ حيث أجريت الأبحاث في منتصف عام 7102. وتعد الدراسة جزءاً من سلسلة تقارير تتناول قضايا السلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

عن المؤلف

كتبت هذا التقرير الدكتورة نيللي لحود، زميل وباحث أول في برنامج الدراسات الأمنية الدولية - نيو أميركا  
تحرير: راتشيل دور-ويكس (مستشار، السلام والأمن والعمل الإنساني، هيئة الأمم المتحدة للمرأة - المكتب الإقليمي للدول العربية)

تصميم: dammsavage studio

أعد هذا التقرير بتمويل سخّي من الحكومة الفنلندية.

الاقتباس المقترح:

نيللي لحود، (2018)، تمكين أم استعباد: دراسة تحليلية في الخطاب الجندي لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)؛ هيئة الأمم المتحدة للمرأة.

الآراء الواردة في هذا المنشور هي آراء المؤلف (المؤلفين) ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة الأمم المتحدة للمرأة أو غيرها من المنظمات التابعة للأمم المتحدة.

ISBN: 978-1-63214-123-1

© 2018 هيئة الأمم المتحدة للمرأة. جميع الحقوق محفوظة.

دراسة بحثية  
تمكين أم استعباد:  
دراسة تحليلية في الخطاب الجندري لتنظيم  
الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)



يونيو/حزيران 2018  
هيئة الأمم المتحدة للمرأة

الدكتورة نيللي لحدود  
برنامج الدراسات الأمنية الدولية - نيو أميركا



# المحتويات

6	المقدمة والنتائج الرئيسية
10	1 دور اللغة في صياغة أساليب عرض التجارب النسائية المختلفة
17	2 الخطاب الجندري: تمييز الذكورة، الفصل بين الجنسين، الاستبعاد الجنسي، استبعاد المرأة من ميدان القتال
31	3 الاستنتاجات
33	الملحق 1: صُحُفُ النَبَأِ، ودابِق، ودار الإسلام، ورومية
35	الملحق 2: المنهجية والمصادر



# ملخص الدراسة

ازداد الاعتراف في السنوات الأخيرة بالترابط والتداخل بين قضايا المساواة بين الجنسين والتطرف العنيف، وعلى نطاق أوسع بين السلام والأمن. ففي كانون الأول/ ديسمبر 2013، اعتمد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار رقم (2129) الذي أكد فيه «اعتزامه تكثيف الاهتمام الذي يوليه إلى المسائل المتعلقة بالمرأة والسلام والأمن في كل مجالات عمله المواضيعية ذات الصلة المدرجة في جدول أعماله، بما في ذلك في سياق الأخطار التي تهدد السلام والأمن الدوليين من جراء الأعمال الإرهابية». وفي تشرين الأول/ أكتوبر 2014، ورداً على تدفق المقاتلين الأجانب من أجل القتال لصالح تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، صدر بيان عن رئيس مجلس الأمن أشار فيه إلى ضرورة الارتقاء بالمعلومات والتحليلات المتعلقة بتأثير النزاع المسلح على النساء والفتيات. وفي عام 2015، اتخذ المجلس القرار رقم (2242) الذي شكّل اعترافاً صريحاً بالروابط المشتركة بين أجندة المرأة والسلام والأمن وقضايا منع التطرف العنيف. ولتعزيز القاعدة المعرفية في هذا الصدد، تحلل هذه الدراسة السبل التي سلكها تنظيم الدولة الإسلامية من أجل إيصال رؤيته العالمية إلى قرائه، ومدى استخدامه لقضايا المساواة بين الجنسين والأدوار الاجتماعية التقليدية المبنية على النوع الاجتماعي كأداة لتجنيد الأفراد وكألية لفرض سيطرته وإحكام قبضته عليهم.

تستقصي الدراسة الكيفية التي يمكن لداعش—وهي جماعة تتبنى صراحةً وجهة نظر عالمية تروج لقهر المرأة واستعبادها جنسياً—أن تستقطب النساء وتقدم لهن أدوات تمكينية في مظهرها. كما تحلل الخطاب الداعش المبنية على النوع الاجتماعي من خلال قراءة منهجية لصُحفها (النبا) التي تصدر بالعربية، و(دابق) و(رومية) الصادرتين باللغة الإنجليزية، و(دار الإسلام) و(رومية) الصادرتين باللغة الفرنسية. وقد صدرت هذه الصُحف منذ ظهور التنظيم وظلت تُنشر على شبكة الإنترنت حتى فبراير/شباط 2017، وهي فترة تغطي حُكم داعش أثناء صعود نجمها في المنطقة حتى أفوله. ويبيّن التحليل كيف دمج التنظيم مسألتَي النوع الاجتماعي والذكورة في أسلوب حُكمها على الصعيدين العام والخاص.

وعلى الرغم من أن تنظيم الدولة الإسلامية قد فقد قاعدته الإقليمية بحلول عام 2017، إلا أنه ما زال يواصل عملياته داخل بلاد الشام وخارجها. كما أن التهديد الذي يشكله هذا التنظيم وغيره من الجماعات التي تمارس العنف على أمن المجتمع الدولي لا يزال قوياً. ومن ثم، تهدف الدراسة من خلال النتائج المستخلصة منها إلى إثراء وتوجيه المناقشات التي تجري حول سبل التصدي لهذا العنف وتطوير استراتيجيات بديلة لإيصال الرسائل، فضلاً عن المبادرات الرامية إلى الاستجابة لهذه التحديات على نحو أكثر كفاءة وفعالية.





# المقدمة والنتائج الرئيسية<sup>1</sup>

تنتهجه لإدماج مسألة العلاقات المبينة على النوع الاجتماعي في نظام حُكمها على الصعيدين العام والخاص. وفيما يلي ملخص للنتائج المستخلصة من هذه الدراسة بأقسامها الثلاث.

## ملخص النتائج

تخلص الدراسة إلى أن داعش قد صاغت خطابها الموجه إلى الرجال والنساء على نحو استراتيجي بطرق مختلفة بغية تحقيق أهدافها المتمثلة في تجنيد مقاتلين جُدد، والحُكم، وإحكام السيطرة، وبناء الدولة. ويتعين على جميع الرجال والنساء الالتزام بالقواعد الأخلاقية التي وضعها تنظيم الدولة الإسلامية والنموذج الذي اعتمده للحُكم، ويشمل ذلك طاعة المرأة لزوجها. وقد أفردت المنشورات التي تصدرها داعش مساحة للنساء للتعبير عن رأيهن، وتُبذل جهود حثيثة لتصوير ذلك على أنه تفويض للمرأة، بل وتمكين لها. بيد أنه بمقارنة مختلف الأصوات النسائية التي جرى استغلالها بالرسائل المقدمة، يتبين أن فحوى تلك الرسائل يدور بشكل جوهري حول تمكين داعش وليس تمكين المرأة. كما يستخدم صوت المرأة في بعض المقالات لتقيد سلوك النساء—من خلال التشهير بغير الملتزمات بالتوجه المحافظ المتشدد الذي تعتمده داعش.

تستغل داعش الدين لإضفاء الشرعية على أفعالها التي تشمل استعباد النساء (مثل الاستعباد الجنسي، والمظهر الخارجي، والتفاعلات الاجتماعية). وواقع الأمر أن داعش توظف الدين بطرق متناقضة في سبيل تحقيق غاياتها؛ فنجدهم تارة يستخدمون الدين كوسيلة لمنح المزيد من الحريات للنساء بما يسمح لهن بالسفر بمفردهن إلى المناطق الخاضعة لسيطرة داعش والإسهام في بناء الدولة الإسلامية؛ وفي تارة أخرى يستخدمونه كذريعة لفرض قيود على التحركات الأساسية للنساء اللواتي يعشن في المناطق الواقعة تحت سيطرتهم.

كما يتبين من الدراسة أن استغلال الأدوار الاجتماعية والعلاقات المبينة على النوع الاجتماعي استراتيجياً يعد عنصراً أساسياً في مساعي داعش لفرض حُكمها وبسط سيطرتها على المناطق التابعة لها. ويتضح من قراءة هذه المنشورات بإمعان أن حُكم داعش يشبه حالة «حرب الكل ضد الكل» التي تحدت عنها الفيلسوف الإنجليزي توماس

يلتزم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام التزاماً صريحاً بالفصل بين الجنسين، وإرساء نظام اجتماعي صارم يقوم على السيطرة على جسد المرأة (تصرفاتها وتعاملاتها وملابسها) واستعباد النساء والأطفال كحافز لتجنيدهن وتوزيعهن على مقاتلي داعش كسبايا من غنائم الحرب؛ وينسب التنظيم الفضل لنفسه في إحياء هذه العادة التي يعود تاريخها إلى العصر ما قبل الحديث<sup>2</sup>. وسعيًا منه لتنفيذ خطته، يتواصل تنظيم داعش مع النساء على نحو نشط. وقد ترتب على ذلك انضمام النساء إلى داعش ليكنَّ جزءاً من دولة «الخلافة»<sup>3</sup>، أو مشروع بناء الدولة الذي يتبناه التنظيم<sup>4</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن النساء اللواتي وُفدن من خارج بلاد الشام للانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية، مثلهن في ذلك مثل الرجال، قد فعلن ذلك «كمهاجرات»، وهو مصطلح يحمل الكثير من الدلالات التاريخية التي لا يزال صداها يتردد في الوعي الديني للمسلمين<sup>5</sup>.

ولكن كيف لجماعة تروّج لقهر النساء واستعبادهن جنسياً أن تجتذب النساء وأن تقدّم لهن ظاهرياً تلك الأدوات التمكينية؟ وللوقوف على كيفية إدارة التنظيم للنهج الذي يتبعه إزاء قضايا النوع الاجتماعي ودور ذلك في الهيكل الحوكمي الخاص بالتنظيم، لابد من فهم كيفية إيصال التنظيم لرؤيته العالمية إلى القراء، ولا سيّما الأسلوب الذي

1 أتقدم بخالص الشكر والامتنان لكل من رنا شويري ومحمد العبيدي على الدعم البحثي الذي قدماه. كما أشكر إليزابيث مارتو على الملاحظات التي أبدتها، والعديد من الزملاء في معهد الدراسات الدولية على الدعم البحثي الذي قدموه، وزميلتي هبة الله طه على المناقشات المثمرة التي جرت بيننا. كما أعرب عن امتناني لراتشيل دورس-ويكس على اقتراحاتها المدروسة بشأن المسودة شبه النهائية، ولنورين فينك وصوفي جيسكار ديستان على تعليقاتهما البناءة على المسودة الأولية.

2 للاطلاع على استعراض وافٍ وميسور لقانون الحرب في الإسلام في سياق المعايير الدولية السابقة للصر الحديث، انظر مجيد خدوري، «مقدمة المترجم»، في كتاب «الشرعية الإسلامية في الأمم: سير الشيباني» (بالتيمور، ميريلاند: مطبعة جامعة جون هوبكنز، 1966)، ص 41-1.

3 من الناحية الجغرافية، يشار إلى دولة الخلافة على أنها الأراضي التي تسيطر عليها داعش وتحكمها في سوريا والعراق.

4 للاطلاع على معلومات أساسية مفيدة عن المقاتلين الأجانب والتفديرات، انظر حامد السعيد وريتشارد باريت، مستشارين، «تعزيز فهم ظاهرة المقاتلين الإرهابيين الأجانب في سوريا»، مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب، يوليو/ تموز 2017.

[http://www.un.org/en/coun-terterrorism/assets/img/Report\\_Final\\_20170727.pdf](http://www.un.org/en/coun-terterrorism/assets/img/Report_Final_20170727.pdf)

5 هذا المصطلح مشتق من كلمة (الهجرة) في لغة الإسلام، ويشير إلى عام 622 حيث بدأ بداية التقويم الهجري الإسلامي، إذ هاجر النبي محمد وأصحابه من مكة إلى المدينة. ووفقاً للتقاليد الإسلامية، فإن هذه الهجرة كانت بسبب الاضطهاد والظلم الذي عانى منه المؤمنون الأوائل بسبب إيمانهم، مما يدل على رغبتهم في ترك ممتلكاتهم وراءهم بحثاً عن مكان آمن يمكنهم فيه تطبيق المناهج والشرائع التي وضعها الله لعباده. وقد كافهم الله عن ذلك بالعديد من الانتصارات. ومن ثم، فإن داعش عندما تدعو المسلمين إلى الهجرة، فإنها تفعل ذلك على أمل أن يكون هذا التاريخ الحافل بالتحصينات والثواب مصدر إلهام للرجال والنساء من أجل السفر إلى المناطق التي يحكمها التنظيم. وللإطلاع على الخلفية التاريخية، انظر / Maxime Rodinson, Muhammad: Prophet of Islam. London / New York: Tauris Parke Paperbacks. 2002. pp. 96-147.

6 دأب تنظيم داعش على الاستشهاد بالآيات القرآنية وكُتّب السلف من أجل تبرير نظرتهم للعالم وإصباح الشرعية على حُكمه وممارساته العنيفة، غير أن تفسير داعش للعديد من جوانب هذه النصوص الدينية تعد محلاً لجدل واسع؛ إذ تقابلها تفسيرات مغايرة للنصوص ذاتها من قِبل عموم المسلمين.

هويز؛ فهي حرب تشنها النساء ضد النساء، والزوجات ضد غيرهن من الزوجات، والزوجات ضد الرقيق الجنسي. وأمّا الرقيق الجنسي فهن يعانين من واقع مظلم تزداد قاتمته يوماً بعد آخر؛ إذ يتعيّن عليهن تحمّل الاعتداءات اللفظية والجسدية من جانب الزوجات بدافع الغيرة، والإيذاء الجسدي من جانب الرجال الذين منحوا لنفسهم حق امتلاكهن.

## القسم الأول:

### دور اللغة في صياغة أساليب عرض التجارب النسائية المختلفة

تعتمد الصُحف التي تصدرها داعش على طيف من التجارب النسائية؛ وذلك بغرض تجنيد النساء في صفوفها و «مواساة» أسر مقاتليها، ووضع خطوط فاصلة للأدوار الاجتماعية المبنية على النوع الاجتماعي. ويبحث هذا القسم من الدراسة في هذه التجارب كما وردت في الخطاب الداعشي، مع إيلاء الاعتبار الواجب للنسق اللغوية المختلفة التي تميز صحيفة (النبا) الأسبوعية التي تصدر باللغة العربية عن صحيفتي (دابق) و(دار الإسلام) الشهريتين الصادرتين باللغتين الإنجليزية والفرنسية؛ إذ تتفرد صحيفة (النبا) باستخدام بعض الأوصاف التي لا تحصر النساء في الأدوار الاجتماعية النمطية المبنية على النوع الاجتماعي فحسب، بل تحط من قدرهن وربما تسيء حتى إلى النساء اللاتي يدعمن داعش. ومن ذلك الأوصاف التي تصوّر النساء بطريقة مهينة، مثل اعتبارهن غير متساويات مع الرجال أصلاً وميلن إلى الثرثرة وينشغلن بالتسوق بدلاً من تكريس وقت فراغهن للصلاة والتدبّر.

وفي المقابل، تتجنّب صحيفتا (دابق) و(دار الإسلام) الصادرتان باللغتين الإنجليزية والفرنسية استخدام تلك الأوصاف المهينة للمرأة. ولا يعزى ذلك إلى وجود قدر أكبر من التسامح لدى محرري اللغتين الإنجليزية والفرنسية فيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين، إذ إن الرؤية العالمية التي يسعون جميعاً إلى الترويج لها واحدة. لكن الاحتمال الأرجح هو أن يكون هذا التباين راجعاً لاعتبارات تتعلق بجمهور القراء المعنيين. وفي حين يبدو أن الصحيفة الصادرة باللغة العربية موجهة إلى المجاهدين الذكور في صفوف داعش، فمن المرجح أن يكون الهدف من إصدار الصحيفتين الإنجليزية والفرنسية في الأساس هو استخدامهما كأداة لتجنيد القراء من الذكور والإناث في كل من أوروبا وأمريكا الشمالية. ويتجلى عنصر التجنيد بشكل خاص في المقالات التي تدعو النساء الراغبات في الذود عن دينهن للسفر إلى المناطق التي تسيطر عليها داعش، بمفردهن إذا لزم الأمر.

وربما كان ذلك هو ما حمل محررو صحيفتي (دابق) و(دار الإسلام) على اعتماد لهجة تبرز تمكين المرأة على أمل استقطاب النساء للسفر إلى أراضي الخلافة.

وتوضح نتائج التحليل أيضاً أن فقدان تنظيم داعش السيطرة على الأراضي التي كانت تقع في قبضته كان له بالغ الأثر على قدرته على مراعاة الاتساق في خطابه باللغتين الإنجليزية والفرنسية. وفي سبتمبر/أيلول 2016، وبالتزامن مع تسارع وتيرة الخسائر التي مني بها تنظيم داعش وتقلص مساحة الأراضي الواقعة تحت سيطرته، سارع في إطلاق صحيفة جديدة بعنوان (رومية) بعدة لغات أجنبية. وتتألف الصحيفة في معظمها من ترجمات للمقالات التي نُشرت في صحيفة (النبا)؛ وهو ما ترتب عليه ظهور نفس الأوصاف المهينة للمرأة التي اعتلت صفحات تلك الصحيفة الصادرة باللغة العربية من قبل في الصُحف الصادرة باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

## القسم الثاني:

### الخطاب الجندري: تمييز الذكور، الفصل بين الجنسين، الاستبعاد الجنسي، استبعاد النساء من العمليات القتالية

يتناول هذا القسم سياسات داعش القائمة على النوع الاجتماعي، مع التركيز على الفصل بين الجنسين والاستبعاد الجنسي فضلاً عن طبيعة التمكين الذي يظهره التنظيم. كما يوضح الطريقة التي يُعزى بها التنظيم قيمة الأمّات والصور التقليدية للذكورة، ويميّز بين الرجل والمرأة في الحقوق، ويفرض قيوداً صارمة على دور المرأة في المجتمع، بما في ذلك سلوكها داخل المنزل. في الوقت ذاته، تسعى داعش إلى مخاطبة النساء بلغة بناءة تنطوي على شيء من التمكين والوكالة، مثل تسليط الضوء على فرص التعليم المتاحة للنساء في المناطق الواقعة تحت سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية.

وتُظهر نتائج الدراسة أن ممارسة تنظيم داعش للفصل بين الجنسين ومراقبة ذلك يعكس الطريقة التي سعى بها التنظيم إلى السيطرة على الصعيدين العام والخاص، إلى حد التحكّم في أدق تحركات النساء داخل منازلهن. وتشير بعض المقالات ضمناً إلى النساء اللاتي يسعين إلى مقاومة القواعد الأخلاقية المتشددة التي فرضتها داعش ويحاولن إيجاد طرق للتهرب من تطبيقها.

وتبرز هذه الدراسة التحليلية أيضاً مدى استخدام تنظيم داعش للاستبعاد الجنسي كأداة لتجنيد عناصر جديدة؛ إذ يعتبر التنظيم النساء في الأراضي الواقعة تحت سيطرته غنائم حرب ويربر ذلك بالاستناد على أسس دينية. وفي هذا السياق، يتعين الأخذ بعين الاعتبار

في ساحات القتال. لكن داعش، على عكس غيرها من الجماعات الجهادية، تميزت بفكرة إشراك الإناث في الحرب. ومع ذلك، تدفع الدراسة بأنه سيكون من الصعب معرفة كيف ستتمكن داعش من التوفيق على أرض الواقع بين سياستها المتشددة إزاء الفصل بين الجنسين والسماح للمرأة بالقتال جنباً إلى جنب مع الرجال في ساحة المعارك؛ بيد أن هذه السياسة لم تمنع بعض النساء الداعيمات لداعش من تنفيذ عمليات جهادية من تلقاء أنفسهن.

## القسم الثالث:

### استنتاجات الدراسة

في ضوء تحليل الخطاب الداعشي (وفقاً للمحتوى الفعلي للصحف التي يصدرها تنظيم داعش) تخلص الدراسة إلى أن التنظيم لم يقدم أية أدوات لتمكين المرأة. وواقع الأمر أن الصحف التي تصدرها داعش باللغتين الإنجليزية والفرنسية اشتملت على عدد من المقالات بقلم نساء يدافعن ويتبنين رؤية داعش العالمية، ويشجعن غيرهن من النساء على إظهار وكالتهن بالانضمام إلى التنظيم، ثم التخلي عنها بعد ذلك من أجل النهوض بالرؤية العالمية التي يتبناها التنظيم. وتظهر أصوات النساء في إصدارات داعش الرسمية للتعبير عن وكالة المرأة، في حين أن الخطاب الفعلي إنما يعزز السياسات التي تقهر المرأة وتستعبدها، بما في ذلك الفصل بين الجنسين والاستعباد الجنسي. ولمَّا كانت روح المغامرة والبحث عن التمكين هما السبب الذي دفع النساء للانضمام إلى تنظيم داعش، فيتعين أن يعتمد الخطاب المضاد بدرجة كبيرة على إظهار الرؤية الداعشية للعالم على حقيقتها حيث لا توجد فرصة للتمكين ولا مكاناً للمغامرة.

إلى القدرة الاستقطابية التي تتمتع بها جماعة تتيح للرجال ممارسة الجنس بطريقة شرعية. فالمجتمعات التي يأتي منها العديد من المقاتلين الأجانب هي مجتمعات محافظة اجتماعياً والقاعدة السائدة عندهم هي إثناء الرجال والنساء عن ممارسة الجنس قبل الزواج وعن إقامة علاقات جنسية خارج الإطار الشرعي للزواج (غالباً ما يُعاقب عليها بموجب القانون الجنائي). ومن ثم، يعد تعدد الزوجات والسبايا أداة لا يستهان بها تستخدمها داعش لتجنيد عناصر جديدة في صفوفها. وعلاوة على ذلك، نجد أن الاستعباد الجنسي والعبارات التي تتحدث عن استعادة الرجل لهيمنته وسيطرته على المرأة يعتبر عنصر جذب قوي بالنسبة للرجال الوافدين من دول أوروبية تتمتع النساء فيها بقدر أكبر من المساواة، لاسيما في ظل شعورهم بأن أدوارهم التقليدية قد سُلبت منهم بمنح المرأة المزيد من الحقوق.

وهكذا يضيف إحياء داعش للاستعباد الجنسي باعتباره ممارسة إسلامية مشروعة جاذبية جنسية—بالمعنى الحرفي للكلمة— ولا تضاهيها فيها أية جماعة (أو دولة، في هذا الشأن) أخرى تتنافس مع داعش على نفس المشهد السياسي. وتسعى داعش في رسائلها بشأن الاستعباد، بما في ذلك الاستعباد الجنسي، إلى احتواء ردود أفعال النساء على هذه الممارسات من خلال إيجاد مبررات لها في «الشرع» والدين، وفي الوقت نفسه تستخدمها كأداة لتجنيد الرجال في صفوف داعش. فقد صيغت الرسائل بطريقة تقنع النساء بأن الاستعباد الجنسي لا يعتبر دعاة من جهة، ومن جهة أخرى تستقطب الرجال وتعددهم بالظفر بالعديد من النساء والفتيات إذا ما حاربوا مع تنظيم الدولة الإسلامية.

وأخيراً، ينظر هذا القسم في احتمالات قيام تنظيم داعش بنشر النساء في ساحات القتال، على الأقل لسد النقص في عدد مقاتليه الذكور الأجانب. وعلى الرغم من تبرير الجماعات الجهادية استغلالها للنساء في عمليات التفجير الانتحاري، فإنها لا تسمح للنساء بالمشاركة

# دور اللغة في صياغة أساليب عرض التجارب النسائية المختلفة

الصادرة باللغة العربية؛ مما أدى إلى حدوث تحوّل في لغة الخطاب في الصُحف الصادرة باللغتين الإنجليزية والفرنسية التي بدأت تتبني نفس الطريقة المهينة في وصف النساء. ويسهم ذلك في إبراز العلاقة بين اللغة والخطاب الداعشي، كما يعكس التأثير السلبي الذي خلّفته خسارة داعش للأراضي التي كانت خاضعة لسيطرتها على قدرتها على نقل نفس محتوى الإصدار الأصلي باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

## التجارب النسائية

تستعرض منشورات تنظيم داعش طائفة متنوعة من تجارب النساء. والأهم من ذلك أن القصد منها هو اجتذاب النساء المقيّمات بالفعل في المناطق الخاضعة لحكم التنظيم، وإغراء النساء الأخريات بالسفر للانضمام إلى التنظيم والبقاء في «أرض الخلافة». وفي حين أن معظم المقالات التي تتناول قضايا المرأة أو العلاقات بين الجنسين موجهة إلى النساء المسلمّات، نجد أن بعض المقالات تستغل أصوات النساء اللواتي اعتنقن الإسلام من أجل استقطاب النساء غير المسلمّات للانضمام إلى داعش.

وتعبّر داعش عن رؤيتها الرسميّة للعالم المبنيّة على النوع الاجتماعي بأصوات مختلفة. فهناك صوت يسعى إلى إظهار داعش على أنها دولة تقدّر تضحيات المرأة وتثمنها، وتُدرّك وتدعم مساهمة المرأة المحتملة كأحد عناصر تنظيم داعش. فعلى سبيل المثال، تشدّد بعض المقالات على أهمية تحرير النساء المؤمنات المحتجزات في سجون «الحكومات الكافرة» بسبب دعمهن لداعش (على سبيل المثال، النبأ 18/ فبراير/شباط 2016: 8؛ 22/ مارس/آذار 2016: 12؛ 23/ مارس/آذار 2016: 12؛ 26/ أبريل/نيسان 2016: 8، 9؛ 30/ مايو/أيار 2016: 8). وتشير مقالات أخرى إلى قلق الأمهات على أبنائهن المُقبّلين على الاستشهاد على نحوٍ ينم عن الحب والدعم (النبأ 9/ ديسمبر/كانون الأول 2015: 8). وتُبرز بعض المقالات قيمة الأمهات «كراعيات» مسؤولات عن تربية الأطفال وتعليمهم مبادئ دينهم (النبأ 38/ يوليو/تموز 2016: 14) وحثهم على القتال من أجل داعش، وتكيل المديح للنساء اللواتي يرخّبن باستشهاد أبنائهن. فمعظمهن أمهات

تتباين التجارب النسائية التي نصادفها على صفحات صُحف تنظيم داعش؛ إذ تشمل تعليم المرأة، ودورها كأم وزوجة، والمسؤوليات المختلفة الملقاة على عاتقها لدعم تنظيم داعش. ويشكّل دور المرأة كزوجة نصيب الأسد من المقالات التي تتناول قضايا النوع الاجتماعي. ويتناول هذا القسم تجارب النساء كما وردت في الخطاب الداعشي، مع التركيز على السياقات اللغوية المختلفة التي تميّز صحيفة (النبأ) الأسبوعية الصادرة باللغة العربية عن الصّحيفتين الشهريتين الصادرتين باللغتين الإنجليزية والفرنسية (دابق ودار الإسلام).<sup>7</sup>

وعلى الرغم من أن جميع المنشورات الصادرة باللغات الثلاث تعزز فكرة النظام الاجتماعي المحافظ المتشدد (مثل فضل الفصل بين الجنسين لحماية أخلاق المجتمع، وتقييد دور المرأة على الصعيد الخاص/المنزلي)، فإن الرسالة ذاتها يتم توصيلها باستخدام صياغة مختلفة في كل لغة من اللغات التي تناولتها الدراسة. فتمتيز صحيفة (النبأ) الصادرة باللغة العربية باستخدام الأوصاف التي لا تحصر النساء في الأدوار النمطية القائمة على النوع الاجتماعي فحسب، بل إنها قد تسمي إلى أشد أنصار داعش أيضًا. ويشمل ذلك تصوير النساء بطريقة مهينة، مثل اعتبارهن غير متكافئات مع الرجل بطبيعتهن، ويملن إلى الثرثرة، وينشغلن بالتسوُّق بدلًا من تكريس وقت فراغهن للصلاة والتأمل. وهناك مقالات أخرى تستصغر شأن النساء وتنظر إليهن على أنهن أطفال، فتتدخّل في كل كبيرة وصغيرة في أبسط سلوكياتهن حتى داخل منازلهن وتجدر الإشارة إلى أن صحيفتي (دابق) و(دار الإسلام) اللتين تصدران باللغتين الإنجليزية والفرنسية يتجنبان اللجوء إلى تلك الأوصاف التي تحط من شأن المرأة.

ويحلل هذا القسم أيضًا مسألة التحوّل الذي شهده الخطاب الداعشي باللغتين الإنجليزية والفرنسية في صحيفة (رومية)، وهي الصحيفة التي حلّت محل صحيفتي (دابق) و(دار الإسلام) ابتداءً من شهر سبتمبر/أيلول 2016. فقد أظهرت الدراسة أن محتوى صحيفة (رومية) يتألف من مقالات كان معظمها مترجمًا من صحيفة (النبأ)

7 يشتمل الملحق (1) على وصف للمحتوى الكلي للصُحف الثلاث، فيما يشرح الملحق (2) المنهجية.

من «عامة الناس» ولم يحظين بقسطٍ وافٍ من التعليم، لكنهن ينعمن «بالفطرة السليمة» (النبا 20 / مارس/ آذار 2016: 11). وتنتهي صحيفة (النبا) على هؤلاء الأمهات وتصفهن بأنهن اقتدين بالخنساء وهي شاعرة عاشت في القرن السابع الميلادي وكانت قد علمت باستشهاد أبنائها الأربعة فحمدت الله أن أنعم عليها بهذه النعمة.

وبنفس الطريقة، تشدّد بعض المقالات على أهمية تذكير الزوجات لأزواجهن بفضيلة الصمود خشية أن يضعف التزامهم بالقتال (النبا 46 / سبتمبر/أيلول 2016: 9).<sup>8</sup> وتبرز مقالات أخرى قيمة النساء اللاتي يحضرن دروس العلم لتوسيع معارفهن الدينية (النبا 32 / 14 مايو/ أيار 2016؛ 59 / ديسمبر/ كانون الأول 2016: 8). وتجدر الإشارة هنا إلى إحدى المقالات التي احتفت بافتتاح كلية الطب في مدينة الرقة؛ حيث ذكرت إن ثلث الطلاب المقبولين هم من النساء، ولكنها حرصت على التأكيد على التزام أعضاء هيئة التدريس بقوانين الفصل بين الجنسين. كما ورد في المقالة ذاتها حوار أجري مع رجل غادر الموصل لمراقبة ابنته إلى مدينة الرقة حتى تتمكن من مواصلة دراستها في مجال الطب (النبا 18 / فبراير/ شباط 2016 : 3-12).

ويعد مفهوم «الهجرة» أحد المفاهيم الأساسية في الخطاب الموجّه إلى النساء الموجودات خارج المناطق التي تسيطر عليها داعش. فالشريعة الإسلامية بوجه عام تنهى النساء عن السفر بمفردهن؛ وإن كان بعض الفقهاء قد أجازوا ذلك فقط في حالة السفر إلى مكة لأداء فريضة الحج. ولما كانت داعش حريصة على جذب النساء للانضمام إلى صفوفها، فلا عجب أن يتبنى التنظيم الرأي الأكثر تساهلاً فيما يتعلق بمسألة هجرة المرأة. ومن ثم، نجد بعض المراجع التي تشير بشكل واضح إلى أن النساء (والرجال) مدعوون إلى الهجرة (النبا 46 / 14 سبتمبر/أيلول 2016) وأنه «على كل مسلم يريد نصرة الشريعة أن يعجل بالهجرة إلى ولايات الخلافة فهي دارهم» (النبا 17 / 8 فبراير/ شباط 2016، حوار مع الشيخ حافظ سعيد خان: والي خراسان).

وواقع الأمر أن المقالات باللغتين الإنجليزية والفرنسية تتخذ موقفاً أكثر قوة إزاء مسألة الهجرة، وذلك لأسباب ليس أقلها أنها تهدف إلى استقطاب النساء المقيمت في أوروبا والولايات المتحدة. ومن هذا المنطلق، تستشهد إحدى المقالات الصادرة باللغة الفرنسية باستفاضة بآراء بعض علماء السلف الذين يقولون بجواز «سفر النساء بمفردهن دون محرم (أي الأخ أو الأب)»<sup>9</sup> [لأداء ما فرض عليهن] لإقامة شعائر دينهن» (دار الإسلام 3 / 10 مارس/ آذار - أبريل/ نيسان 2015).

وعلى نحو مماثل، تناولت مقالة أخرى باللغة الإنجليزية (في صحيفة دابق 8 / مارس/ آذار - أبريل/ نيسان 2015: 32-38) نفس الموضوع موضحةً جواز هجرة المرأة بمفردها في سبيل حماية دينها في حال عدم وجود محرم. وتبدو هذه المقالة التي كُتبت بقلم امرأة كما لو أنها ردٌّ على الاتهامات، أو على الأقل التلميحات، التي تشكك في معايير داعش الأخلاقية من جانب أعدائها، إذ تقول:

«وهنا أريد أن أقول بأعلى صوتي لأصحاب القلوب المريضة الذين طعنوا في شرف الأخوات العفيفات إن هجرة المرأة من دار الكفر واجبة، سواءً كان يرافقها محرم أم لا، إذا كانت قادرة على أن تسلك طريقاً آمناً وتتقي الله في نفسها. وما ينبغي عليها أن تنتظر أحداً، بل عليها أن تفر بدنيها وتصل إلى الأرض التي يكرّم فيها الإسلام وأهلها» [هكذا ورد].

وتقر داعش بأن حث النساء على السفر بمفردهن لا يتوافق مع فلسفة جماعة تروج لنظرتها المحافظة المتشدد للعالم وتفرض قوانين صارمة على تحركات المرأة. وهذا ما يجعل الحجّة المؤيدة لهجرة المرأة مشروطة أو متوقفة على مسؤوليتها تجاه الزود عن دينها وحمايتها. وتجدر الإشارة إلى أن منشورات داعش لا تشجع الحرية (والفردية أو التفرد) كما في التقليد الليبرالي الغربي؛ إذ يقول المذهبيون الإسلاميون والجهاديون — بمن فيهم الكتّاب المؤيدون لتنظيم داعش — بأن الإسلام قد حرّر البشرية من عبادة القوانين الوضعية التي وضعها الإنسان من دون الاعتماد على التشريعات السماوية، وأمرهم بالخضوع لشرع الله الذي يكفل العدالة للجميع؛<sup>10</sup> أي أن العدالة الإلهية تتحقق من خلال الامتثال لشرع الله وليس ممارسة الحريات.

وعلى الرغم من ذلك، فقد تحدثت النساء اللاتي سافرن رغبةً في الانضمام إلى تنظيم داعش عن 'حرية' ممارسة شعائر دينهن، وذلك خلال مقابلات شخصية أجراها معهن بعض العلماء بعد وصولهن.<sup>11</sup> ويحتمل أن تكون بعض النساء قد فهمن دعوة داعش لهن بأن يهاجرن بمفردهن على أنها تنطوي على حريات معينة، ولكن تلك الحريات لا توفرها داعش في حقيقة الأمر. وإذا كان الأمر كذلك، فهذا يدل على نجاح الخطاب الداعشي في تصدير صورة إيجابية بشأن تمكينه للمرأة دون الحاجة لتطبيق الفكرة عملياً.

10 يبر المذهبيون الإسلاميون والجهاديون وجهة النظر هذه في علم الكلام وغالبًا ما يشيرون إلى ما نُقل عن أحد القادة العسكريين العرب (ربيعي بن عامر التميمي) عشية معركة القادسية (636/7 هجريًا) التي كانت حاسمة في غزو بلاد فارس، إذ قال للقائد الفارسي (رستم) موضحًا الرسالة التي يحملها الإسلام: «نحن قوم ابتعثنا الله للخروج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

11 اتقدم بخالص الشكر إلى السيدة ليديا ويلسون لمشاركتها معي هذا التصور عن 'الحرية' الذي اكتسبته من عملها المهيداني.

8 تُرجمت هذه المقالة في وقت لاحق ونُشرت في صحيفة رومية باللغتين الإنجليزية 2: 28-30 والفرنسية 2: 7.

9 المحرم هو أحد الأقارب الذكور ممن تربطهم بالمرأة صلة دم ولا يجوز الزواج بهم كالأب والابن والأخ. تمت مناقشة التعريف في القسم الثاني.

## اللغة والخطاب الإعلامي

رغم تنوع تجارب النساء اللاتي يسعى تنظيم داعش إلى مخاطبتهم باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية، تنفرد صحيفة (النبا) الأسبوعية الصادرة باللغة العربية باستخدام أوصاف تنطوي على تحييز صريح ضد المرأة. فنجد على سبيل المثال عبارات تصف النساء بأنهن صاحبات 'لسان سليط' (النبا 20/ مارس/آذار 2016: 8) فضلاً عن التعميمات في وصف النساء بأنهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير (النبا 57/ نوفمبر/تشرين الثاني 2016: 15). أما الرجال فيوصى بهم أن يصبروا على ما يلاقونه من زوجاتهم لأن 'النساء بطبيعتهن ناقصات عقل ودين' (النبا 56/ نوفمبر/تشرين الثاني 2016: 14).

كما تؤيد مقالات أخرى التحكّم في تصرفات المرأة وتحركاتها اليومية بأدق تفاصيلها، ليس فقط في الأماكن العامة بل أيضاً داخل المنزل. فتبرز مثلاً ضوابط خروج المرأة إلى الأماكن العامة، بما في ذلك الذهاب إلى السوق لشراء احتياجاتها الأساسية (النبا 28 / أبريل/نيسان 2016: 14). وفي تلك المقالات يتكرر التأكيد على فضيلة بقاء النساء في بيوتهن وعدم الخروج إلا للضرورة، كما يتكرر ذكر حقوق الأزواج في فرض قيود على زوجاتهم في الخروج من بيوتهن (النبا 50 / أكتوبر/تشرين الأول 2016: 15).<sup>12</sup> وتتشكك عدة مقالات في وجود حاجة لقضاء النساء أوقاتاً طويلة مع بعضهن (النبا 65 / يناير/كانون الثاني 2017: 15) وتعييب عليهن انغماسهن في النسيمة وال قيل والقال (النبا 67 / فبراير/شباط 2017: 15) وتستنكر نشرهن الشائعات التي من شأنها إلحاق الضرر بالجهاديين (النبا 31/ مايو/أيار 2016: 15 ؛ 40 / يوليو/تموز 2016: 14 ؛ 42 / أغسطس/آب 2016: 14).

وربما كان للإشارة إلى تلك الشائعات تداعيات سياسية أبعد من تلك المذكورة صراحةً. فمن خلال قراءة ما بين السطور، نجد أنه من المحتمل أن بعض النساء قد تناقلن فيما بينهن مخاوف أزواجهن إزاء فقدان داعش لأراضيها، ثم أبلغن أزواجهن بما يقوله الأزواج أو المقاتلون الآخرون لزوجاتهم. وقد يساعد هذا السيناريو على نشر الخوف بين صفوف مقاتلي داعش وتحطيم معنوياتهم.

وبخلاف تسفيه النساء لدرجة فرض قيود على أدق تحركاتهن، تصف العديد من المقالات النساء بأنهن مُسرفات؛ إذ تذكر إنهن ينتهزن فرصة شهر رمضان ويتخذنها ذريعة للخروج من المنازل للتسوق وشراء الملابس والحلويات وفي ذلك ما فيه من إسراف (النبا 68 /

فبراير/شباط 2017: 14) وإن انشغالهن بأمور مادية يعكس عدم اكتراثهن بالتضحيات التي يبذلها الجهاديون الذين يقاتلون على الحدود (النبا 37 / يونيو/حزيران 2016: 14، 42 / أغسطس/آب 2016: 14). ولما كانت الشريعة الإسلامية تُلزم الزوج بتوفير احتياجات زوجته المادية، فلا يصح أن تدعو داعش الرجال إلى حرمان زوجاتهم من استحقاقاتهن المالية. ولكن بدلاً من ذلك—ومن أجل التحكّم في نفقات النساء على نحو يعود بالنفع على داعش—يحث التنظيم النساء على بيع مصوغاتهن الذهبية وبذل المال في سبيل الجهاد (النبا 45 / أغسطس/آب 2016: 14)<sup>13</sup> مذكراً إياهن بأنه على الرغم من أن المهر حق من حقوق المرأة، إلا أن التنظيم يشجّع النساء على بذل مهورهن في سبيل الجهاد (النبا 51 / أكتوبر/تشرين الأول 2016: 15).

وعلى عكس مقالات صحيفة (النبا) القصيرة (التي لا تزيد عن صفحة واحدة) مجهولة الكاتب، تُفرد صحيفتنا (دار الإسلام) و(دابق) مقالات مطولة يفترض أن كاتباتها من النساء لمناقشة الصعوبات التي تواجهها النساء في بيئتهن الجديدة. وتهتم لغة الخطاب الإنجليزية والفرنسية اهتماماً ملحوظاً بمخاوف المرأة ومصالحها وأولوياتها. وقد تناولت بعض هذه المقالات قضايا مثل كيفية تعامل النساء مع الغيرة في حالة تعدد الزوجات، فيما تناولت مقالات أخرى الأهمية السياسية لفكرة «استعباد المشركين» وسبي النساء واستعبادهن جنسياً من قبل الرجال، ولماذا على النساء قبول ذلك. وبعيداً عن ذلك، تتناول المقالات الصادرة باللغتين الإنجليزية والفرنسية، التي يزعمون أن من كتبها من النساء، أموراً سياسية مثل شرعية المؤسسات التي أسسها تنظيم داعش وأهمية الجهاد بالنسبة للرجال.

وتتبنى المقالات الواردة باللغة الفرنسية نهجاً مختلفاً يهدف ظاهرياً إلى معالجة «القضايا الحساسة» لدى النساء. فنجد على سبيل المثال مقالة يزعمون أن من كتبتها أرملة تدعى أم عمر تحكي فيها عن بسالة زوجها الشهيد، بل وعن مراعاته لمشاعرها فتقول إنه «كلما كان يشعر بأنه قد أساء إليّ كان يبادر على الفور بالاعتذار وكان آخر ما قاله لي [قبل ذهابه إلى ساحة القتال] «يا أم عمر أطلب منك مسامحتي إن كنت قد أسأت إليك» (دار الإسلام 8 / يناير/كانون الثاني – فبراير/شباط 2016: 72). الجدير بالذكر أن صحيفتي (دابق) و(دار الإسلام) تنشران مقالات مشابهة تتناول احتياجات النساء العاطفية من حين إلى آخر.

13 هذه المقالة تُرجمت ونُشرت بعد ذلك في صحيفة رومية الإنجليزية (1: 18) ورومية الفرنسية (1: 14).

14 مهر المرأة هو بنص القرآن حَقُّها الذي تحتفظ به إن هي اختارت ذلك (سورة النساء: الآية 4).

12 هذه المقالة تُرجمت ونُشرت بعد ذلك في صحيفة رومية في نسختها الإنجليزية (3: 40) ونسختها الفرنسية (3: 32-33).

وتتميز صحيفة (دابق) بوجود عمود منتظم تكتب فيه أم سمية المهاجرة<sup>15</sup> التي تتناسب ملامح شخصيتها مع المثل العليا التي تحرص داعش على إظهارها. فقد هاجرت ثم تزوجت من أحد الجهاديين وانجبت منه طفلة واحدة على الأقل (ومن المؤكد أنها ستنجب أطفالاً آخرين فيما بعد). ومن خلال مقالاتها في صحيفة (دابق) تضم أم سمية صوتها إلى صوت داعش دعماً للخلافة، ويعد رأيها بعيداً كل البعد عن الخنوع حيث تحمل العديد من القضايا التي تناقشها تداعيات سياسية بالنسبة لداعش. فهي على سبيل المثال، تدعو زوجات «جنود الصحوة» - أي السنّة الذين يحاربون داعش - إلى ترك أزواجهن، كما تؤكد أن رجال الصحوة يعرضون دينهم الإسلامي للخطر بتبنيهم توجهات سياسية علمانية معينة. وتضيف مؤكدة إنهم بذلك - وفقاً لما جاء في القرآن الكريم - يعتبرون أزواجاً غير شرعيين، ومن ثم يعد تركهم واجباً شرعياً على زوجاتهم المسلمات (دابق 10 / يونيو/حزيران - يوليو/تموز. 2015: 42-48). وبذلك يتم استخدام السياسة داخل الأسرة بهدف تعزيز المصالح السياسية والعسكرية لتنظيم داعش. فأم سمية هي ذاتها التي تدافع عن الاستعباد الجنسي (دابق 9 / مايو، أيار - يونيو /حزيران 2015: 44-49) وتشجّع قهر المرأة واستعبادها كما سيتبين في القسم الثاني.

وهناك مقالات أخرى باللغتين الإنجليزية والفرنسية من المفترض أنها كُتبت بأقلام زوجات أو أرامل المقاتلين، يُستخدم فيها صوت المرأة كوسيلة لتجنيد النساء في صفوف داعش. وفي حوار أجري مع زوجة أبو بصير عبد الله الإفريقي، ونُشر باللغتين الإنجليزية والفرنسية، (دار الإسلام 2 / يناير/كانون الثاني - فبراير/شباط 2015: 11-12؛ دابق 7 / يناير/كانون الثاني - فبراير/شباط 2015: 50-51) نجد أم بصير توجه حديثها إلى من تسميهم «إخوتي وأخواتي» في مقالة تعرب فيها عن قلقها إزاء «حال الأمة الإسلامية في العالم». وتحت أم بصير أخواتها على «أن يكن قواعد الدعم والسلامة لأزواجهن وإخوانهن وأبائهن وأبنائهن». وتوحي اللهجة التي كُتبت بها المقالة بأنه من المتوقع أن تواجه النساء التحديات التي قد تفرضها مشاركة الرجال في الجهاد على أسرهم. وحيث إن كاتبة المقالة امرأة، فإن المقالة تهدف إلى إبراز فكرة أن المرأة ليست في حاجة إلى أن يُدكرها الرجل بتقصيرها في أداء واجباتها حسبما ورد في بعض المقالات المنشورة في صحيفة (النبا)، بل إن لغة الخطاب المستخدمة تشير إلى أن النساء بمقدورهن معالجة عيوبهن والعمل على تصحيحها بمفردهن.

15 هذه هي الأسماء المستخدمة في الكتابات حيث إن المؤلف لا يمكنه التحقق مما إذا كان اسم كاتب كل مقالة هو نفسه الاسم المستخدم. ويشير الاسم المستعار إلى أن المؤلف امرأة: فكلمة أم تعني «والدة فلان»، وعادة ما يتبع هذه الكنية اسم الابن الأكبر وإن لم يكن للمرأة ابن تبعت الكنية باسم البنت الكبرى وعلى ذلك فاسم «سمية» هو اسم لامرأة. أما إضافة لفظ «المهاجرة» فالمراد منه إعطاء معلومات إضافية عن أم سمية، أي أنها مهاجرة وليست من أهل سورية أو العراق، بل كانت في وقت ما مقيمة خارج أراضي داعش ثم هاجرت إلى أرض الخلافة.

وثمة مقالة أخرى جديدة بالملاحظة كتبها أم خالد الفنلندية، وذلك في إشارة إلى أن أصلها من فنلندا. وقد صيغت المقالة كممارسة للعلاقات العامة وفي نفس الوقت كدعوة لممارسة العنف في أوروبا (دابق 15 / يوليو/تموز - أغسطس/آب 2016: 36 - 39). وتهدف المقالة إلى استقطاب القراء من غير المسلمين بوجه خاص، إذ تدعو المسيحيين في فنلندا وأماكن أخرى إلى «فتح قلوبهم لدين الإسلام والتعرف عليه». وفي المقالة تصف أم خالد رحلتها الروحية إلى الإسلام عندما كانت مقيمة في فنلندا، والصعوبات والرفض الذي واجهته من جانب عائلتها وأصدقائها غير المسلمين عندما ارتدت عن الحجاب، وكيف أنها وجدت عزاءها عندما تزوجت من مسلم يمكنها التفاهم معه. وفي بداية الأمر، أرادت أم خالد التركيز على الدعوة الدينية، إلا أن السلطات اعتقلت زوجها واتهمته بارتكاب جرائم إرهابية، وعندئذ «تنبهت إلى أهمية الهجرة» على حد قول أم خالد.

ويستنتج القارئ من هذه المقالة أن السلطات الفنلندية تضطهد المسلمين. وعلاوة على الدروس المستفادة من تجربة الرفض التي مرّت بها أم خالد بعد أن اهتمت إلى الإسلام، فإنها ترغب في إيصال القارئ إلى نفس النتيجة التي توصلت إليها، لاسيّما أن المسلمين لا يستطيعون التعايش مع غير المسلمين. فهي تحت من يتردد في الهجرة على عدم العدول عن الفكرة بسبب ما يلاقه من عقبات لأن «تلك العقبات ما هي إلا شيء في صدورهم من عمل الشيطان، وإذا توكلتم على الله وشرعتم في الهجرة فإن الله سيوفقكم». وبالإضافة إلى إثبات أهمية الهجرة، تضم أم خالد صوتها إلى صوت قادة تنظيم داعش الذين يدعون المسلمين الذين لا يستطيعون الهجرة إلى ممارسة العنف، لا سيما في الدول الغربية. وبهذه الروح تحت الكاتبة المتعاطفين مع داعش من خارج أراضي الخلافة على «مهاجمة الصليبيين وحلفائهم أينما كانوا وهذا ليس عليكم بعزير».

## ما الذي تنطوي عليه لغة الخطاب؟

رغم عدم وجود أوصاف مهينة للنساء في منشورات داعش الصادرة باللغتين الإنجليزية والفرنسية، إلا أن المبادئ الأساسية واحدة. فقد نشرت العديد من القنوات الإعلامية التابعة لداعش صوراً لتوزيع نسخ من صحيفة (النبا) على المقاتلين المتمركزين على حدود الأراضي الواقعة تحت سيطرة داعش؛ مما يشير إلى أن داعش تعتبر المقاتلين الذكور المتحدثين بالعربية الجمهور الرئيسي الذي تستهدفه الصحيفة. وبالتالي، فرمأ رأى محررو (النبا) أن المقاتلين المتحدثين بالعربية لا يجدون غضاضة في استخدام اللغة التي تصف النساء بأوصاف مهينة على بعض صفحات الصحيفة. ولقد قام كُتّاب النسخة الفرنسية - ربما كان بعضهم من النساء - بنقل رؤية داعش المتشددة، لكن بنبرة تغلب عليها العاطفة، مثل التأكيد على مراعاة الزوج «للأمر الحساسة» الخاصة بزوجته. أما كُتّاب النسخة الإنجليزية، فما فيهم

النساء أيضًا، فقد عبّروا عن الرؤية ذاتها ولكن من خلال الحجج المنطقية مثل الإشارة إلى المنافع السياسية التي يوفرها الاستعباد الجنسي.

ويتعين تسليط الضوء على هذا الاختلاف المنهجي لأنه ربما كان له أثرٌ على القراء المستهدفين، ولا سيّما النساء اللاتي سافرن للانضمام إلى داعش مفترضات أن هناك أدوات أكبر للتمكين تنتظرهن في المناطق الخاضعة لسيطرة التنظيم. والواقع أن لغة الخطاب التي تستهدف النساء في صحيفتي (دار الإسلام) و(دابق) خادعة لأن الكثير من المقالات كُتبت بواسطة النساء وموجهة للنساء (والرجال)؛ ومن ثم، فإن وجود صوت المرأة على صفحات الصحف التابعة لداعش يمثل واجهة لإظهار وكالة النساء. وبالإضافة إلى ذلك، فإن دعوة النساء للرجال إلى الاستجابة لنداء الجهاد والقتال تعطي إيحاءً بأن المرأة لها رأي في الأمور التي تتعلق بسياسة دولة الخلافة. وقد تجذب هذه الواجهة الكثيرات من النساء اللاتي يسعين إلى التمكين، ولا سيما الفتيات اللاتي يتمتعن بروح المغامرة.

وكما أشرنا سابقًا، فمن المرجح أن تكون بعض المقالات التي تتناول قضايا المرأة والعلاقات بين الأنواع الاجتماعية في صحيفتي (دابق) و(دار الإسلام) قد كُتبت بهدف نشر فكرة التجنيد واستقطاب النساء في الدول الناطقة بالإنجليزية والفرنسية ودفعهن إلى الهجرة إلى أرض الخلافة. وبمرور الوقت، بدأت المقالات تدريجيًا في تلبية احتياجات النساء الناطقات بالإنجليزية والفرنسية اللاتي كن يجدن صعوبة في التأقلم مع الحياة في دولة الخلافة، ويشمل ذلك تعدد الزوجات والاضطرار للتعيش مع الإماء تحت سقف واحد. وربما كان هذا الخطاب المميز يهدف إلى رسم صورة جذابة للدولة الإسلامية في أعين النساء (والرجال) الناطقين بالإنجليزية والفرنسية، والذين كانوا بحاجة إلى ما يطمئنهن حيال النظرة القمعية التي يتبناها تنظيم داعش تجاه العالم.

وعلى الرغم من ذلك، ينبغي التمييز بين إيصال الصوت (باللغتين الإنجليزية والفرنسية) وبين الوكالة؛ أي قدرة المرأة على اتخاذ قراراتها بنفسها. وحتى إن كانت المقالات الصادرة باللغتين الإنجليزية والفرنسية مكتوبة بأقلام نسائية، إلا أن محتوى الخطاب يتناول تمكين داعش وليس تمكين المرأة. وبعبارة أخرى، فإنه في الوقت الذي نجد فيه الصحيفة الصادرة باللغة العربية لا تتظاهر بالاهتمام بالقضايا الحساسة التي تهتم المرأة، تعمل الصحيفتان الصادرتان باللغتين الإنجليزية والفرنسية على إسماع صوت المرأة ولكن بما يصب في النهاية في صالح دعم المؤسسات والممارسات الداعشية التي تقوم على استعباد النساء.

واقع الأمر أن الرسالة الرئيسية التي أطلقتهما أصوات نسائية سبق أن أشرنا إليها هي مساندة للرجال ودعوة إلى طاعتهم حتى يتمكنوا بدورهم من الدفاع عن دولة الخلافة. ومن هنا فإن رسالة أم بصير

الفرنلندية الأساسية إلى أخواتها تتمثل في قولها: «لا تصعبن الأمور على رجالكم المقاتلين، بل يسرنها عليهم». وعلى نحو مماثل، تروي أم عمر الفرنسية قصة مؤثرة عن زوجها الشهيد تحث فيها قراءها من النساء على التحلي بالصبر وتذكّرهن بواجبهن تجاه دعم أزواجهن وطاعتهم.

وتتلاشى واجهة وكالة النساء بشكل أكبر عند تقييمها في سياق تأكيد داعش على حث الأسر على تزويج بناتهم للمقاتلين وتشجيع الأامل على الزواج مرة أخرى (النبا 54 / نوفمبر/تشرين الثاني 2016: 12 ؛ رومية الإنجليزية 4 نوفمبر/تشرين الثاني -ديسمبر/كانون الأول 2016: 32-33) ودعوة النساء المتزوجات إلى التزام بيوتهن. وفي هذا الإطار، فإنه عند إجراء تحليل موسّع للدعوة التمكينية في ظاهرها التي تحث المرأة على السفر بمفردها، يتبيّن أن الغرض منها ليس تمكين المرأة من امتلاك زمام أمورها وتحركاتها، بل استقطاب النساء من خارج التنظيم وحثهن على الهجرة إلى أراضي داعش من أجل بناء الدولة. وعند وصولهن إلى أرض الخلافة—كما يوضح القسم الثاني—تصبح تحركات هؤلاء النساء مقيدة بدرجة كبيرة. وعلى ذلك، يجوز للنساء أن يمارسن وكالتهم عندما يقرن السفر إلى أرض الخلافة، ولكن بمجرد وصولهن إلى الأراضي الواقعة تحت سيطرة داعش، تقتصر مساهماتهن في بناء الدولة على كونهن زوجات للمجاهدين وبالتالي أمهات يربين أولادهن على حب الجهاد.

## صحيفة (رومية) واللغة المستخدمة فيها

تبن لغة الخطاب المستخدمة في صحيفة (رومية) الفارق بين الخطاب باللغة العربية والخطاب باللغتين الإنجليزية والفرنسية. ففي سبتمبر/أيلول من عام 2016، أوقفت داعش نشر صحيفتي (دار الإسلام) و(دابق) والصحف الصادرة بلغات أخرى غير العربية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن داعش في هذا الوقت كانت تعاني من تسارع وتيرة الخسائر التي مُنيت بها وتقلص مساحة الأراضي الواقعة تحت سيطرتها. وكان بسط داعش لسيطرتها على الأراضي قد بلغ ذروته في مايو/أيار 2015. ثم بعد ذلك تمكّن التنظيم خلال عام واحد تقريبًا من استعادة بعض الأراضي في كل من العراق وسوريا. ولذلك لم يتأثر الإنتاج الإعلامي لداعش بشكل مباشر، وبدا جيشها الإلكتروني محتفظًا بنفس القدر من الحماسة.

وبعد سبتمبر/أيلول 2016، شرعت داعش في إصدار كافة الصحف الصادرة بلغات غير العربية في صحيفة تحمل اسم (رومية). ولمّا كان التنظيم يواصل النشر باللغات نفسها كما في السابق، فمن المرجح أن يفترض المراقب عن بُعد عدم وجود أي اختلاف فيما يتعلق بالخطاب وفحواه. ولكن بعد الدراسة والتحصيص يستشف من الأمر أن معظم المقالات الصادرة باللغتين الفرنسية والإنجليزية ما هي إلا تراجم



الجدير بالذكر أنه لم تُنشر أي أعداد جديدة من صحيفة (رومية) منذ سبتمبر/أيلول 2017، وهي الفترة التي خسرت فيها داعش ولاية الرقة؛ وهي خسارة وضعت حدًا لسيطرتها على الأراضي. لكن رغم ذلك استمرت داعش في إصدار صحيفة (النبأ) (تم الانتهاء من هذه الدراسة في يناير/كانون الثاني 2018). وإذا ما استمرت هذه الفجوة في منشوراتها الصادرة باللغات غير العربية، فإن هذا يعني أن خسارة التنظيم للأراضي التي كان يسيطر عليها كان له بالغ الأثر على قدرته على الحفاظ على مستوى اتصالاته ومشاركته الإعلامية. ومن هنا فإن تنظيم داعش لم يفشل في الاحتفاظ بكتّابه المتحدثين باللغتين الإنجليزية والفرنسية فحسب، بل أنه واجه صعوبات حتى من أجل الحفاظ على حماس المترجمين الذين يعملون لحسابه.

للمقالات التي نُشرت من قبل باللغة العربية في صحيفة (النبأ). وبالتالي، بدأت المنشورات باللغتين الفرنسية والإنجليزية من صحيفة (رومية) في تبني منهجية الوصف المسيء والمهين للنساء واتباع طريقة أكثر صرامة في تناول قضايا النوع الاجتماعي وتفضيل الذكور.

وحيث أن المجموعة واصلت النشر بجميع اللغات نفسها كما في السابق، فمن المرجح أن يفترض المراقب البعيد أن الرسائل ومحتواها سيكونان أكثر شيوعًا. عند الفحص الدقيق، يتبين أن معظم المقالات باللغتين الفرنسية والإنجليزية هي ترجمات لتلك المقالات التي ظهرت بالفعل في النبأ. وبناءً على ذلك، بدأت القضايا الفرنسية والإنكليزية في رومية في تبني أوصاف مسيئة ومهينة للنساء، من أجل الترويج لنهاجها الجامد لمسائل النوع الاجتماعي والذكورة.

ويشير ما سبق إلى أنه بحلول سبتمبر/أيلول 2016 خُفّت حماس الكتائب الإلكترونية الأوروبية الأمريكية التابعة لتنظيم داعش إلى حدٍّ كبير ولم يكن أمام داعش سوى اللجوء إلى المترجمين ليعوضوا تناقص أعداد الكتّاب المتحدثين بالإنجليزية والفرنسية.

## الخطاب الجندري: تمييز الذكورة، الفصل بين الجنسين، الاستبعاد الجنسي، استبعاد المرأة من ميدان القتال

للنبي محمد أكثر من زوجة، يجب على المسلمين اتباع هذه السنة النبوية حسبما ورد في المقالة. ويقول الكاتب إن الله قد أحل للرجل الزواج بأكثر من امرأة لأسباب عدة ليس لأن «الرجل عمومًا قد عُرف عنه حبه للنساء، وهذا ليس عيبًا في حق الرجل» فحسب، ولكن لأنه إذا كان للرجل أكثر من زوجة فإن قدرته على التناسل تزداد بدرجة كبيرة مما يزيد عدد المسلمين. كما أنه بزواج الزوج تجد الزوجة متسعًا من الوقت للصلاة، وإن كانت بعض النساء قد تساءلن عما إذا كان النشاط الجنسي يمثل جزءًا من واجباته الدينية. وتدفع المقالة بأن تعدد الزوجات يعالج اختلال التوازن الديموغرافي في المجتمعات المسلمة نتيجة الحروب الكثيرة التي ينتج عنها عادة خسائر كبيرة بين المقاتلين من الرجال؛ ولذا فإن على النساء عدم معارضة مسألة التعدد لأن هذا مخالف لما أمر به الله (النبا 35/ يونيو /حزيران 2016: 13).

ولا يقتصر تفضيل الهيمنة الذكورية—بطبيعة الحال—على ما يحق للرجال فعله في الأمور التي تؤثر على النساء فحسب، بل يمتد إلى ما يجب على النساء فعله لخدمة أزواجهن وأقاربهن الذكور. وأول هذه الواجبات يتمثل في الشروط التي وضعتها داعش للزواج النسائي وصفات الحجاب الشرعي. وقد ذكرت مقالة نُشرت في صحيفة النبا الصادرة باللغة العربية (النبا 23 / مارس/آذار 2016: 15) أن الشريعة الإسلامية وضعت ثمان شروط للحجاب وهي:

- (1) أن يكون صفيقًا سميكا لا يشف عما تحته بحيث لا يبرز مفاتن المرأة ولو من بعيد.
- (2) أن يكون فضفاضا (واسعا غير ضيق) لا يجسم البدن.
- (3) أن يكون ساترا لجميع البدن ومنه الوجه والكفان.
- (4) ألا يكون لباس شهرة، أي ألا يكون لونه أو تفصيله ملفتا للنظر.
- (5) ألا يشبه لبس الكافرات.
- (6) ألا يشبه ملابس الرجال، وعلى ذلك فالسراويل لا تجوز للنساء حتى لو كانت فضفاضة.

يتناول هذا القسم بالبحث الخطاب الجندري الذي يتبناه تنظيم داعش مع التركيز على كيفية تمييز التنظيم للاتجاه الذكوري السائد، واتباعه لسياسة الفصل بين الجنسين والاستبعاد الجنسي. كما يدرس هذا القسم أيضًا إمكانية قيام داعش بنشر النساء في ميادين القتال. وتعكس هذه الديناميات السبيل الذي انتهجه التنظيم للسيطرة على الصعيدين العام والخاص لدرجة التحكم في أدق تحركات النساء داخل منازلهن.

### تمييز الذكورة

بغض النظر عن اختلاف الخطاب في اللغات المستخدمة، فإن كل صُحف داعش التي تتناولها هذه الدراسة تعمل على تعزيز الاتجاه الاجتماعي المحافظ المتشدد. وهذا التشدد يرفع من قيمة الأشكال التقليدية للاتجاهات الذكورية التي تميّز حقوق الرجل على حقوق المرأة وتفرض قيودًا صارمة على دور المرأة في المجتمع، بما في ذلك تنظيم سلوكها داخل المنزل.

وكما يوضح ما تبقى من هذا القسم، فإن تفضيل الهيمنة الذكورية هو المحور الذي تركز عليه أغلب المقالات المتعلقة بالمرأة والعلاقات بين الجنسين؛ حيث تتناول بعض المقالات ذلك بشكل أكثر صراحة من غيرها. فثمة مقالة—على سبيل المثال—بعنوان «طاعة المرأة لزوجها عبادة واجبة» يؤكد كاتبها في مجمل المقالة على فضائل الذكورة بعبارة قاطعة (النبا 30/مايو /آيار 2016: 14). وتُذكر المقالة النساء بأن أداء ما فُرض عليهن من صلاة وصوم وصدقة وهجرة إلى أرض الخلافة لا تغنيهن عن أداء حق أزواجهن عليهن؛ حيث أن الله هو الذي أوجب عليهن هذه الطاعة. ولذا فإن على الأزواج أن يذكروا زوجاتهم بأن معصية الزوج وعدم أداء حقوقه هو من كبائر الذنوب.

وهناك مقالة أخرى بعنوان «تعدد الزوجات من منهاج النبوة» تعزز من اتجاه الهيمنة الذكورية. وكما يشير العنوان، فإن المقالة تؤكد حق الرجال في تعدد الزوجات باعتباره سلوكًا دينيًا محمودًا. ولمَّا كان

## الفصل بين الجنسين والحوكمة الداعشية على الصعيد الخاص

تعزز الجماعات الجهادية، مثل القاعدة وداعش، الفصل بين الجنسين في أدبياتها الأيديولوجية إثباتاً لسيرها على المنهج الصحيح الذي اتبعه السلف الصالح من المسلمين. وكما يتضح من البروجاندة الجهادية التي أطلقتها تلك الجماعات، فإنها بلا ريب تسعى إلى تطبيق سياسة الفصل بين الجنسين. وليس من الغريب إذن أن نرى أدبيات داعش تركز على تطبيق كافة مؤسساتها نظام الفصل بين الجنسين. ونجد مثلاً على ذلك في المقالة التي تتناول الطالبات اللواتي يدرسن الطب، إذ تشير الكاتبة إلى تخصيص جناح منفصل لهن في كلية الطب التي من المفترض أن تكون داعش قد أسستها في ولاية الرقة.

وعلى الرغم من ذلك، فإن القواعد والقيود الصارمة التي تسعى صحائف داعش جاهدة إلى التأكيد عليها، بما في ذلك التحكم بأدق تحركات المرأة داخل المنزل، تكتسي أهمية خاصة. ففي الوقت الذي لم تواجه الجماعات الجهادية الأخرى التي اكتسبت مكانة بارزة على الساحة العالمية—مثل القاعدة—تحدي استيعاب آلاف المهاجرين المتدفقين من بيئات ثقافية مختلفة في نفس الوقت مع إدارة الأراضي الواقعة تحت سيطرتها، كان الأمر مختلفاً بالنسبة لداعش حيث اضطرت إلى أن تتعامل مع المواطنين الأصليين إلى جانب المهاجرين الذين وفدوا إلى أراضيها معاً في مدة قصيرة نسبياً. ومن المرجح أن تكون داعش قد عملت على توفير مساكن للمهاجرين وأقاربهم المباشرين والبعيدون، بيد أن الفصل بين الجنسين مثّل لها تحدياً كبيراً؛ إذ كان عليها توفير منازل منفصلة لكل زوجة من زوجات المقاتلين التابعين للتنظيم. وفي حين يتوقع المرء أن الضرورة العملية قد تفرض اتباع نهج أيديولوجي أكثر براجماتية أو على الأقل غض الطرف عن بعض الانتهاكات الحتمية للفصل بين الجنسين، إلا أن منشورات داعش تشير إلى أن العكس هو الصحيح. وواقع الأمر أن التنظيم لا يقوم بأية محاولات لإخفاء الانتهاكات التي تُرتكب بالفعل. ويلاحظ وجود هاجس بفكرة التوصل إلى الطريقة المثلى للفصل بين الجنسين بحذافيرها.

كيف إذًا تعزز داعش خطابها بشأن الفصل بين الجنسين؟ وللإجابة على هذا السؤال، نجد أن أول ما قيل هو أن منع الاختلاط بين الجنسين مسؤولية سياسية. فهناك مقالة يؤكد فيها كاتبها على أن الاختلاط كان أحد أسباب سقوط دولة المرابطين (1147-1056) التي حكمت المغرب وجزءاً من الجزائر (النبأ 22 / مارس، آذار 2016: 14). ولضمان فهم الفصل بين الجنسين كمعيار ديني من ناحية، وكسياسة دولة من ناحية أخرى، عقدت داعش دورات لتعليم أتباعها الشريعة الإسلامية ومنها الأحكام الشرعية الواجبة في الفصل بين الجنسين؛

(7) ألا يكون لباس زينة يلفت الأنظار لثلاً تكون من المتبرجات بالزينة.

(8) ألا يكون مطيباً (معطراً أو مبخرًا) لعدم إثارة شهوة الرجال.

وهناك مقالة أخرى تقدّم تذكّرة للنساء بأن يخشين الله ويضعن ويلتزم باللباس الشرعي. ومن خلال هذه التذكّرة، يأمل تنظيم داعش من المرأة أن تتطبّع على الحشمة في ملابسها خوفاً من الله لا من ولاية الحسبة؛ أي «شرطة الأخلاق» المكلفة بإنفاذ القانون الأخلاقي الذي تطبقه داعش في الأماكن العامة. وتشير المقالة إلى أن النساء قد شوهدن وهن يتلفّتن بمنة ويسرة في ترقّب خائفات، فإذا رأين محتسباً أصلحن خمرهن على الفور (النبأ 28 / أبريل/نيسان 2016: 13). وترى داعش إن فهم المرأة لقواعد اللباس الشرعي يؤدي إلى حدوث «تغير نوعي في فهم الناس للدين (فهماً صحيحاً)». وتمثل هذه القواعد جزءاً من المقررات التي وضعتها داعش في الدورات التي قدمتها في الشريعة الإسلامية (الدورات الشرعية) للمسلمين المقيمين في الأراضي الخاضعة لسيطرتها (النبأ 26 / أبريل/نيسان 2016: 13).

بالإضافة إلى شروط اللباس الشرعي للنساء، يتناول الخطاب الداعشي القواعد التي تحكم تحركات النساء في الأماكن العامة، وتحديدًا ضوابط خروج المرأة إلى السوق. فعلى المرأة ابتداءً أن تلتزم بيئتها وألا تخرج إلا لحاجة أو ضرورة، فإن كانت لا محالة خارجة من بيئتها وجب عليها الاحتشام في لباسها كما دُكر آنفاً، وألا تنتعل الكعب العالي، وأن تلتزم في مشيها أطراف الطريق حتى تتجنب محاذاة الرجال وملاصقتهم. كذلك عليها خفض صوتها حتى لا تلتفت الانتباه، والخضوع بالقول عند حديثها مع البائعين في المتاجر. وربما يُعزى ذلك إلى التمييز بين التحشّم (خفض الصوت) والتغشّج (الخضوع بالقول) حسبما جاء في صحيفة (النبأ 28 / أبريل/نيسان 2016: 14). وتشير مقالات أخرى إلى أن النساء في أرض الخلافة لا يعملن بهذه القواعد وتذكّر بأن الزوج لا يترك لزوجته أمر خروجها على غاربه «وله أن يمنعها إن كثرت من الخروج» (النبأ 50 / أكتوبر/تشرين الأول 2016: 15).

ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل يتسع خطاب داعش الجندري ليشمل موضوعات أخرى، بدءاً من ضوابط تسوّق النساء، إلى دورهن في تعزيز فضائل الجهاد بين أقاربهن الذكور. ولفهم المزيد عن الحوكمة الداعش القائمة على التمييز بين الجنسين، هناك موضوعان رئيسيان يتعين تسليط الضوء عليهما، هما تركيز داعش على تشديد الفصل بين الجنسين، وعلى تشجيع ممارسة الاستعباد الجنسي. وفيما يلي، يدرس هذا القسم بعناية الخطاب الإعلامي الذي تعتمده داعش في منشوراتها بشأن هذين الموضوعين.

«لاختلاط الرجال بالنساء» و«المصافحة بينهم» في عيد الأضحى ( النبأ 46 / سبتمبر/أيلول: 8).

## التحديات الأسرية والفصل بين الجنسين

بينما تهدف المقالات التي تركز على الفصل بين الجنسين إلى إضفاء الشرعية على رؤية داعش العالمية المتشددة، فثمة إشارات في تلك المقالات إلى أن خطابها يستهدف أيضاً معالجة التحديات التي واجهها التنظيم في نظام حكمها. ويرجح أن بعض النساء كن يقاومن القواعد الداعشية المتشددة وتأثيرها على حياتهن المنزلية. فعلى سبيل المثال، نجد أن المقالة التي تُدكر النساء بأن طاعة أزواجهن واجب ديني، كما ذكر آنفاً، هي نفسها المقالة التي تشير إلى منع بعض النساء أنفسهن عن أزواجهن (النبأ 30 / مايو/أيار 2016: 14). ومن غير الواضح ما إذا كان ذلك بسبب زواج النساء من رجال دون اختيارهن، أم بسبب عدم رضاهن عن تعدد الزوجات والاضطرار إلى مشاركة أزواجهن مع الإمام.

وإذا كان استغلال داعش لميزة تعدد الزوجات (والإماء) قد مثل جزءاً من أسلوب داعش في جذب بعض الرجال الذين انضموا إلى التنظيم، فلم تلق مسألة تعدد الزوجات ترحيباً من النساء على مستوى العالم. ويظهر ذلك جلياً في مقالة باللغة الفرنسية بعنوان «مثنى و ثلاث ورباع» (دار الإسلام 7 / نوفمبر/تشرين الثاني- ديسمبر/كانون الأول 2015: 20-23)، ويشير هذا العنوان إلى الآية القرآنية رقم 3 من سورة النساء؛ حيث يباح للرجل شرعاً الزواج بأربع زوجات والجمع بينهما. ويتبين أن الهدف من هذه المقالة هو الدفاع عن تعدد الزوجات ومعالجة التحديات المتعلقة بمعارضة النساء لهذا الأمر. وعلى الرغم من أن هذه المقالة مجهولة الكاتب، إلا أن تصريفات الأفعال المؤنثة المستخدمة تدل على أن الكاتبة امرأة؛ حيث أرادت صحيفة دار الإسلام أن تكتب هذه المقالة امرأة لتعزيز مصداقية الحجّة.

في هذه المقالة تعرب الكاتبة عن أسفها لما صرحت به إحدى النساء عندما قالت «يمكن أن أوافق على أي شيء آخر إلا تعدد الزوجات... لا أرضى به»، فيما أخبرتها امرأة أخرى سُجن زوجها بأنها تفضل أن يظل زوجها في السجن لئلا يتزوج بأخريات. ورفضت امرأة ثالثة مسألة التعدد رفضاً قاطعاً إذ قالت «هل تريدني أن أرتد عن الإسلام وأكثر؟» ثم قالت بنبوة يائسة «إن رأيته مع امرأة أخرى فسوف أفتر عن ديني وأهجر بيتي حزناً!»

تعكس نبذة الكاتبة شعورها بالانزعاج من رفض تعدد الزوجات ليس فقط من قبل «عوام النساء المسلمات» ولكن أيضاً من قبل بعض المتدينات. ومن وجهة نظر الكاتبة، فإن رفض تعدد الزوجات «قد

إذ تحرّم الشريعة الإسلامية على المرأة الاختلاط بالرجال إلا زوجها ومحارمها.<sup>16</sup> واستشهد العلماء بالآيات -22- 26 من سورة النساء (4) والآيات -24- 31 من سورة النور لتعريف المحارم وهم أقارب المرأة من العصب كالأب، والأخ، وابن الأخ، وابن الأخت، أما أقاربها من جهة زوجها كأخوة زوجها وأبنائه فليسوا من محارمها. وبعد هذا البيان، خصصت داعش سلسلة من المقالات التي تبيّن سمات المحرم، ومن ثم تمنع امرأة من الاختلاط مع أغلب الرجال من أهل زوجها (النبأ 23 / مارس/آذار 2016: 15).

تدل درجة الاهتمام التي توليها داعش للفصل بين الجنسين بوضوح على أن التنظيم يسعى إلى المواءمة بين أيديولوجيته ونظام حكمه ليس فقط على الصعيد العام، بل يمتد ذلك على الصعيد الخاص أو داخل الأسرة. ولقد تكرر كثيراً في منشورات داعش التأكيد على أنه لا ينبغي للمرأة الاختلاط بالرجال من أهل زوجها لا سيما «أخو الزوج». ويشير هذا الانشغال بمسألة «أخو الزوج» إلى أن داعش كانت تواجه صعوبات في فرض الفصل التام بين الجنسين داخل الأسرة. وفي ذلك مقالة بعنوان «الحمو الموت» فيها إشارة إلى أن الاختلاط بأهل الزوج من الذكور يضاهاي الموت<sup>17</sup> وتقول المقالة: «يا أيتها الأخت العفيفة» اعلمي أن أبا زوجك وأبناء عمك وغيرهم من أقاربك الذكور ليسوا بمحارمك، فلا تكشفني عن وجهك في حضرتهم (النبأ 24 / مارس/آذار 2016: 15). وقد تكرر التأكيد في المقالة نفسها على أن الاختلاط بأخ الزوج أشد إثمًا من الاختلاط بالأجنبي.

وقد خوطب الزوج ووالديه بهذا الموضوع أيضاً. فهناك مقالة أخرى عنوانها «ياكم والاختلاط بالنساء» تتعرض لعادة منتشرة في المجتمعات العربية تجعل الفصل بين الجنسين شبه مستحيل. وهي أنه في بعض الأسر يكون من المقبول ثقافياً، ويتم تشجيعه في بعض الأحيان، أن يعيش الابن الأكبر هو وزوجته مع والديه لرعايتهما. وتدعو المقالة إلى القضاء على هذه العادة التي تجعل من المستحيل على الزوجة تجنب الاختلاط بأهل زوجها. كما تحذر مقالة أخرى من تساهل المرأة في الجلوس مع أهل زوجها لتناول الطعام أو مشاهدة التلفاز مؤكدة أن ذلك من أخطر الأمور التي قد تحدث في المنزل.

ومن الجدير بالذكر أنه في نفس العدد، يحق للمرأة أن تعصي زوجها إذا لم يوفر لها بيتاً منفصلاً أو عجز عن إلزام الذكور من أهله بالضوابط الشرعية في تحركاتهم ومراعاة الفصل بين الجنسين (النبأ 43 / أغسطس/آب 2016: 14). ويثار نفس الموضوع فيما يتعلق بالتجمعات العائلية في المناسبات الدينية، فنجد داعش في مقالة أخرى تعيد تذكير القرءاء بأن هذه الاحتفالات لا ينبغي أن تتخذ ذريعة

16 انظر نبلي لحدو، «الجنس المُهمل: استبعاد الجهاديين المرأة من الجهاد»، الإرهاب والعنف السياسي، 26: 5 (780-802)، صفحات 7-783.

17 تستشهد داعش بالحديث الشريف لتوضيح هذه النقطة، انظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري، 9/330.

الرفض المتعددة تحديات واجهها التنظيم الذي كان قد وعد مقاتليه بالحصول على العديد من الشريكات.

وثمة مشكلات أُسرية أخرى قد تكون لها تداعيات سياسية على تنظيم داعش. فتشير إحدى المقالات إلى استمرار بعض النساء في التواصل بالهاتف مع أسرهن خارج أراضي داعش ضد رغبة أزواجهن أو موافقتهم. وتصرح المقالة بأنه ينبغي عليهن التوقف عن إضمار أي مشاعر نحو أقاربهن إن لم يكونوا داعمين لداعش (النبأ 62 / يناير / كانون الثاني 2017: 14).<sup>20</sup>

يرتبط نظام الحكم الداعشي بشكل عام بالسيطرة على الصعيد الأسري بقدر ما يرتبط بالمجالين السياسي والعسكري، ويوضح مدى الارتباط بين الصعيدين العام والخاص. كما أن تركيز التنظيم على تطبيق نظام الفصل بين الجنسين يكشف التداخل بين الصعيدين. وكما توضح الأمثلة الواردة في هذا القسم، فإن حكم تنظيم داعش ينطوي على التحكم في أبسط تحركات المرأة وتصرفاتها. ولا يمكن المغالاة في تداعيات هذا النموذج من الحكم على وضع المرأة في المجتمع، ولكن من الممكن—ومن شأن البحث في هذه النقطة توضيح الأمر بشكل أفضل—أن تكون السياسة ذاتها قد أثّرت على تجربة داعش الوجيزة كجماعة حاكمة.

## الاستعباد الجنسي كمؤسسة سياسية

في كتابها الذي نُشر في أواخر نوفمبر/تشرين الثاني ٧١٠٢ بعنوان «الفتاة الأخيرة: قصتي في الأسر ومعركتي ضد الدولة الإسلامية» تقدم نادية مراد، الفتاة الأيزيدية التي فُرت من داعش بمساعدة إحدى الأسر السُنيّة، وصفاً مفصلاً لنظام الاستعباد الجنسي الذي كانت تمارسه داعش من واقع تجربتها المباشرة. وتقول نادية إن داعش تخصص لمقاتليها سوقاً لشراء السبايا بعد معالمتهم بأنفسهم. وتروي نادية مراد، التي مُنحت لقب سفيرة الأمم المتحدة للدفاع عن كرامة ضحايا الإتجار بالبشر وتقديراً لنشاطها في هذا المجال، قائلة:

«كان سوق الرقيق يفتح أبوابه في المساء، وكنا نستطيع سماع الضجة في الطابق السفلي حيث كان المسلحون يسجلون أسمائنا، وعندما بدأ الرجال في دخول الغرفة التي تم احتجازنا بها، صرخت جميع الفتيات كما لو كان انفجاراً عنيقاً وقع. كنا نئن كالجرحي وتتلوى ونتقيأ على الأرض، ومع ذلك هل توقف المسلحون؟ كلا ... بل انجذبوا أولاً نحو الفتيات الأجمل يسألونهن «كم تبلغين من العمر» ثم همّوا بفحص شعرهن وأفواههن، ثم سألوا أحد الحراس «إنهن عذاري. أليس كذلك؟» فأوماً الحارس برأسه قائلاً «طبعاً!» ... ومن

20 هذه المقالة تُرجمت ونُشرت لاحقاً في صحيفة رومية (الإنجليزية) 6: 22-24 و(الفرنسية) 36-38: 6.

يُفسّر على أنه كفر». وبتبين غضب الكاتبة المشوب بالإحباط في سؤالها «لماذا إيداً تهاجرين يا أختاه؟». وتدل إشارتها إلى الهجرة على أن النساء المهاجرات، غالباً من أوروبا ودول عربية، هن أشد النساء رفضاً لتعدد الزوجات.<sup>18</sup> وقد وجدت الكاتبة أنه من الضروري الحديث عن الرجال أيضاً في مقالها، وإن كان ذلك يشير إلى أن استياء الإناث من تعدد الزوجات لا يقتصر على حالات معينة. فأخذت الكاتبة تقدم النصح للرجال الذين يرغبون في تعدد الزوجات بالتخفيف من غيرة زوجاتهم التي يمكن تفهمها بتبرير قرارهم على أنه واجب ديني. على سبيل المثال، حثت الكاتبة الرجال الذين يرغبون في اتخاذ زوجة ثانية على الزواج بأرملة حفظاً لعفتها، ففي مثل هذه الحالات يكون الأمر أهون على الزوجة الأولى.

ويبدو أن بعض الرجال قد أساءوا استخدام حقهم في تعدد الزوجات حتى وفقاً لمعايير الدولة الإسلامية. فهناك مقالة بعنوان «تعدّد بلا تعدّد» تنتقد إساءة الرجال استخدام هذا الحق وتقول إن «البعض يتزوج الثانية أو الثالثة أو الرابعة، فيغيب عن قلبها ما شاء الله دون إشارة أو أمانة». وتستطرد المقالة لتحذر الرجال من حرمة الجمع بين زوجاتهم في بيت واحد كرهماً. ومع العلم أنه من الصعب على داعش توفير أربعة منازل لكل فرد من عناصرها، فمن المرجح أن بعض الرجال قد أجبروا زوجاتهم على العيش تحت سقف واحد متغافلين عن مسؤولياتهم التي أوجبتها عليهم الشريعة الإسلامية (النبأ 36 / يونيو/حزيران 2016: 13).

كما نصحت مقالة أخرى تتحدث عن مسألة النظافة الجنسية الرجال والنساء بالاعتسال بعد الجماع أو الاحتلام، وذلك إشارة إلى الأمور المتعلقة بالأمراض المنقولة جنسياً التي يتعين على داعش التعامل معها (النبأ 30 / مايو/أيار 2016: 14). وهو أمر غير مستغرب لأنه من المعروف أن داعش كانت تروج للاستعباد الجنسي (وهذا الأمر مطروح بمزيد من التفصيل فيما يلي). وهناك مقالة أخرى تشير إلى أن بعض المجاهدين يواجهون صعوبات في العثور على زوجات وأن بعض الأسر رفضت تزويج بناتها للمجاهدين خشية أن تصبح بناتها أرامل (النبأ 33 / مايو/أيار 2016: 14)، بينما رفضت أسر أخرى تزويج بناتها في سن مبكرة (النبأ 52 / أكتوبر/تشرين الأول 2016: 15).<sup>19</sup> ولعل السبب وراء ذلك هو أن تلك الأسر لا تدعم داعش وتخاف على بناتها من الزواج من أي رجال من عناصر التنظيم. وقد شكّلت حالات

18 تم تناول هذه المقالة المنشورة في صحيفة 'دار الإسلام' بعد ذلك في بحث لنيللي لود، «المشكلات الداخلية في دولة داعش»، المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، بتاريخ 10 ديسمبر/كانون الأول 2015 ، <http://www.iiss.org/en/iiss%20voices/blogsections/iiss-voices-2015-dda3/december-5c5a/islamic-states-domestic-problems-3811>

19 هذه المقالة تُرجمت ونُشرت لاحقاً في صحيفة رومية (الإنجليزية) 5: 34-5 و(الفرنسية) 28-29: 5.

ثم بدأ أفراد التنظيم في لمس أجسادنا من كل مكان يمكنهم الوصول إليه، ووضع أيديهم على صدورنا وأرجلنا كما لو كنا حيوانات... في هذا الوقت كان أحدهم بالطابق السفلي يسجل ما يحدث في دفتر يكتب فيه أسماءنا وأسماء المسلحين الذين أخذونا، أما الطابق العلوي فقد كان منظمًا وهادئًا.<sup>21</sup>

وبذلك تصبح السبايا والجواري ملكًا لمقاتلي داعش الذين لهم حرية الدخول عليهن والتمتع بهن متى شأؤوا، ثم يبيعونهن بعد قضاء حاجتهن منهن. وقالت الصحفية جنان موسى زوجة أحد مقاتلي داعش، أثناء إجراء مقابلة معها، إن زوجها ورفاقه من المقاتلين تمكنوا من الوصول إلى إحدى قنوات تيليغرام؛ وذلك في إشارة إلى مجموعة «سوق السبايا» ويسمح لهم فيها بشراء الإمام وبيعهن. وتقول إن المرأة الجميلة في هذا السوق سعرها عالٍ، والجميلة البكر يكون ثمنها غال للغاية، فبعض النساء كان يتم بيعهن مقابل 30 ألف دولار [على حد قولها].<sup>22</sup> كما تشير تقارير مبنية على مقابلات أجريت مع ضحايا داعش الأخريات، إلى أن الاستعباد الجنسي وغيره من أشكال استعباد المرأة يمارس على نطاق واسع في الأراضي الواقعة تحت سيطرة داعش.<sup>23</sup>

وكان تنظيم داعش قد شرع في تبرير الاستعباد الجنسي وتشجيعه قبل عدة سنوات من نشر كتاب نادية مراد. فمنذ صدور العدد الرابع من صحيفة دابق، نُشرت مقالة بعنوان 'إحياء الاسترقاق قبل قيام الساعة' (دابق 4 / سبتمبر/أيلول - أكتوبر/تشرين الأول 2014: 17-14) وأعيد نشرها باللغة الفرنسية في العدد الخامس من صحيفة دار الإسلام - حيث يروي التنظيم بفخر قصة استيلائه على مدينة سنجار الواقعة في محافظة نينوى العراقية واستعباد الأيزيديين الذين تصفهم المقالة بأنهم «أقلية وثنية موجودة منذ زمن بعيد في مناطق العراق والشام» وتعرب عن أسفها لبقاء هذه الجماعة في المنطقة لأن «استمرار وجودها حتى يومنا هذا هو أمر يجب على المسلمين أن يهتموا به لأنهم سيسألون عنه يوم القيامة».<sup>24</sup> وترى داعش أنه إن دل احتفاظ الأيزيديين بهويتهم الثقافية والدينية على شيء، فإنها يدل على مخالفة المسلمين أوامر الله لأنهم رضوا ببقاء هؤلاء. كما يرى التنظيم أنه

باستعباده لهذه الطائفة التي لا تدين بدين الإسلام يكون مخلصًا لله، واستشهدوا بالآية (5) من سورة التوبة «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينًا كَانَتْ لِلدِّينِ أُمَّةً وَاحِدَةً اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»<sup>25</sup> وَجَدْتُهُمْ وَخَدُّوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ - فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ - إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»<sup>27</sup>

كما استطردت المقالة في تبرير تصرفات داعش مستعينة بالنصوص الإسلامية:

بعد أسر الأيزيديين، تم تقسيم النساء والأطفال منهم حسب الشريعة الإسلامية بين مقاتلي الدولة الإسلامية الذين شاركوا في عمليات سنجار، بعد أن أحالوا خمس العبيد إلى أولي الأمر لتقسيمهم بوصفهم الخمس.<sup>28</sup> والآن يبيع جنود داعش الأسر الأيزيدية المستعبدة - كما كان الصحابة (رضي الله عنهم) من قبلهم يبيعون المشركين - ويقولون إننا نراعي أغلب الأحكام الشرعية ومنها حُرمة فصل الأم عن أطفالها الصغار. وقد اعتنق نساء وأطفال كثيرون الإسلام طوعًا دون إكراه وهم يتسابقون الآن في تطبيق تعاليمه بصدق وإخلاص بعد خروجهم من ظلام الشرك.<sup>29</sup>

إن ترويج الدولة الإسلامية للاستعباد الجنسي يخدم عدة أغراض. أولًا، وعد التنظيم لمقاتليه الذين يعتبرون محرك العنف الذي يعمل على بقاء الدولة الإسلامية بإمكانية الحصول على العديد من الشريكات بالإضافة إلى الزوجات الأربع المسموح بهن؛ وذلك بخلاف الجماعات الجهادية الأخرى، كالقاعدة، التي شجعت مقاتليها على الزواج بعدد يصل إلى أربع زوجات، ودعمهم ماديًا في حالة رغبتهم في ذلك. لكن كتاباتهم لا تشير إلى أنهم شجعوا هؤلاء المقاتلين أو سمحوا لهم بممارسة العلاقات الجنسية خارج مؤسسة الزواج. وقد تكون الجماعات الجهادية الأخرى هجرت هذه العادة التي كانت سائدة في العصر ما قبل الحديث، مثلهم في ذلك مثل التيار الإسلامي السائد. ولكن من الوارد أيضًا أن الجماعات الجهادية لم تحيي هذه الممارسة ببساطة بسبب أنها لم تستول على أراضٍ تفرض عليهم حكم غير المسلمين على العكس من داعش.

ومن الأهمية بمكان أن نضع جاذبية التنظيم الذي يبيع للرجال ممارسة الجنس وبشره في سياقها الواقعي. فالمجتمعات المسلمة محافظة اجتماعيًا والسائد عندهم هو منع الرجال والنساء من ممارسة أية علاقات جنسية قبل الزواج. وعلى الرغم من أن الدول ذات الأغلبية المسلمة لا تمنع تعدد الزوجات، فمعظم الرجال لا يستطيعون تحمّل

21 نادية مراد، «الفتاة الأخيرة: قصتي تحت الأسر ومعركتي ضد الدولة الإسلامية»، نيويورك: تيم دوكن للنشر، 2017، ص 7-136.

22 غردت جنان موسى هذه التغريدات بتاريخ 3 أغسطس/آب 2017 ويمكن الاطلاع عليها على الرابط التالي: <http://www.nervana1.org/2017/08/06/twitter-thread-jenan-> [moussa-on-ISIL-wives-and-yazidi-slaves](http://moussa-on-ISIL-wives-and-yazidi-slaves/) (آخر زيارة 14 أغسطس/آب 2017).

مدرج في هذا العنوان أيضًا رابط اللقاء المصور الذي أجرته موسى.

23 انظر على سبيل المثال لقاء نادية مراد في برنامج هارد توك على قناة بي بي سي البريطانية، <http://www.bbc.com/news/world-middle-east-37384324>، في 16 سبتمبر/

أيلول 2016، ومقالة الصحفية روكميني كالمياشي «داعش تكسر لاهوت الاغتصاب» المنشورة في صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ 13 أغسطس/آب 2015، <http://www.nytimes.com/2015/08/14/world/middleeast/ISIL-enshrines-a-theology-of-rape.html>

24 صحيفة دابق، مقالة بعنوان «إحياء الاسترقاق قبل قيام الساعة» ص 14. ترجمة الآية القرآنية وكذلك الاستشهادات التي ذكرتها في المقالة باللغة الإنجليزية.

25 المشركين أو المشركون جمع «مشرك» هم الذين يتخذون مع الله آلهة أخرى ويخالفون عقيدة التوحيد الذي يدعو إليه الدين الإسلامي.

26 «الزكاة» هي أحد أركان الإسلام الخمس.

27 المرجع السابق ص 14

28 «الخمسة» في الشريعة الإسلامية هو مقدار الغنيمة التي تأخذها الدولة.

29 المرجع السابق ص 15

أعباء إعالة أكثر من زوجة واحدة؛ لأن الشريعة الإسلامية توجب على من يتزوج أكثر من زوجة أن يوفر بيتاً مستقلاً لكل واحدة منهن. ومن ناحية أخرى، فإنه وفقاً للأعراف الثقافية السائدة في تلك المجتمعات، لا يجوز للرجال والنساء المسلمين والمسلمات ممارسة الجنس إلا في إطار الزواج، ولا يباح اتخاذ شريكات أخريات إلا بعد الطلاق والزواج بزوجة ثانية. ولذلك، فإن إباحة الحصول على السبايا، بالإضافة إلى الزوجات، في نفس الوقت، ما هي إلا وسيلة جذابة لتجنيد الرجال المحافظين الذين تربوا في بيئات ثقافية واقتصادية لا تبيح لهم إلا زوجة واحدة مدى الحياة. وعلاوة على ذلك، فإن الرجال القادمين من دول أوروبية يستفيدون من ذلك باستعادة القوة والسيطرة والهيمنة على نساءهم اللاتي كنّ يتمتعن بدرجة عالية من المساواة بالرجال في بلادهم، مما جعل الرجال الأوروبيين ينجذبون بشدة إلى تلك الممارسات. وبذلك، فإن إحياء الاستعباد الجنسي بوصفه عادة إسلامية مشروعة قد منح تنظيم داعش قوة جذب لم تكن متاحة لغيرها من الجماعات الأخرى أو الدول التي تتنافس على نفس المشهد السياسي.

ولم يقتصر الأمر على استخدام الاستعباد الجنسي كأداة لاستمالة الرجال وتجنيدهم في صفوف داعش فحسب، بل سعت داعش إلى إظهار هذا الأمر على أنه دليل على نجاحها السياسي والعسكري. وبشكل أكثر دقة، فقد وصف التنظيم هذا الأمر من وجهة نظره، فصرح إنه ليس هناك وسيلة لإذلال الكفار أفضل من استعباد نساءهم. كما سعى التنظيم إلى الترويج لفوائد الاستعباد الجنسي عن طريق امرأة تدعى أم سمية المهاجرة في مقالة لها نُشرت في العدد التاسع من صحيفة دابق، وفي مقالة بعنوان «إماء أم عاهرات» دافعت أم سمية عن الاستعباد الجنسي الذي مارسه داعش وقالت بأنه لا ينبغي الخلط بين الاستعباد الجنسي والدعارة، ولا يجوز اتهام المقاتلين بالاعتصاب لأنهم اتخذوا إماءً (دابق 9/مايو/آيار- يونيو/حزيران 2015: 44-49).

انتقدت أم سمية بشدة وسائل الإعلام الرسمية التي تحدثت عن استعباد النساء الأيزيديات، ورأت أن الإعلام هو الذي افتري كذباً وصوّره على أنه أحد أشكال «الزنا أو الاغتصاب». كما أغضبها بنفس القدر نفي المدافعين عن داعش ما أذيع ونُشر من أخبار عن استعبادهم لسبايا وأنحت باللائمة عليهم لاستشعارهم الحرج كما لو كان تنظيم داعش قد «ارتكب خطأً أو قام بعمل سيء».<sup>30</sup> وقالت لمن أنكروا ذلك بأن «السي» سنة نبوية كريمة سنّها النبي واتبعه فيها أصحابه. ولمن يعيبون على هذا الأمر، ذكرت أم سمية بالتفصيل الفرق بين الأمة والعاهرة. فقالت إن الأمة يمكن أن تعتق رقيتها إن أسلمت، وإن «من الإماء في دولتنا الآن من هنّ حوامل ومنهن من أعتقن لوجه الله ثم تزوجن رسمياً في محاكم الدولة الإسلامية بعد أن أسلمن وحسن إسلامهن».<sup>31</sup> أما العاهرة فحالها يرثى له ولا يمكن

التسامح معها بسهولة وتقول عنها أم سمية «العاهرة في بلادكم تختلط بالجميع وهي مجاهرة بذنوبها». وتتعبج أم سمية مما يقال في شأن الأمة التي أخذت بسيوف الرجال ويمكن إعتاقها إن أسلمت فتقول «هل هذا انتهاك لحقوق الإنسان؟ وهل تعد مضاجعتها اغتصاباً؟! ماذا حل بكم؟».

ولتأكيد الفرق بين البغايا والإماء، تُذكر أم سمية قراءها بأن الإسلام يحتضن كل من يعتنقه حتى الإماء. وقد استشهدت بما ورد من أن بعض الأنبياء يمتد نسبهم إلى إماء، وبالتحديد، «نبي الله إسماعيل عليه السلام الذي كان ابن أمة من الإماء وجاء من ذريته أفضل الخلق نبينا محمداً»<sup>32</sup> حيث يشير الكتاب المقدس إلى أن إسماعيل هو ابن إبراهيم من هاجر جارية زوجته سارة. ويقول المحللون الإسلاميون إن إسماعيل هو أبو العرب وأنه هو الذي بنى الكعبة مع أبيه إبراهيم في مكة<sup>33</sup> (قبلة المسلمين) لأداء فريضة الحج تلبية لنداء الإله الواحد.

وتكمن الأهمية السياسية للاستعباد—كما ذكرنا من قبل—في كونه دليلاً على الانتصارات. فهو يفرق بين الفائزين والخاسرين. وفي هذه الحالة، انتصرت داعش على الكفار وأعلنت ذلك بكل فخر في صحيفة دابق النبا (47 / سبتمبر/أيلول 2016: 13) كما افتخرت في صحيفة دابق في المقالة (المشار إليها سابقاً) بالاستيلاء على سنجار وسبي النساء والأطفال الأيزيديين:

«إن استعباد الأسر المشتركة على نطاق واسع بهذا الشكل يعتبر الأول من نوعه منذ هجر هذه الشريعة. ولم يشهد العالم مثل هذه الحالة إلا ما دُكر عن استعباد النساء والأطفال المسيحيين في الفلبين ونيجييريا على أيدي المجاهدين هناك، رغم أنها كانت على نطاق أقل بكثير».<sup>34</sup>

وتستطرد أم سمية في جدلها بأن الاستعباد يمثل دليلاً على نجاح الدولة، وأن الخلافة هي خلافة حقيقية «بكل ما تحمله من معاني الشرف والفخر للمسلمين والإذلال والقهر للكفار».<sup>35</sup> ولعل أقوى دفاع تبنته أم سمية لتسويغ الاستعباد الذي تمارسه داعش هو تبنيها هي نفسها لهذه الممارسة، إذ تقول:

«إني أشعل غيظ الحاقدين بقولي إنني أنا وأهل بيتي قد سجدنا لله شكراً في أول يوم دخلت فيه أول أمة منزلنا. نعم نشكر الله الذي أحيانا حتى شهدنا اليوم الذي رأينا فيه الكفار أذلاء منكسة رايتهم. وها نحن اليوم - وبعد قرون - نحیی هذه السنة النبوية التي أماتها أعداء الله من العرب وغيرهم.

32 المرجع السابق ص 47

33 مارتن لينغز، محمد: حياته من المصادر الأولى، كامبردج: جمعية النصوص الإسلامية

، 2002، ص 3.

34 دابق 15:4

35 دابق 9:64

30 أم سمية المهاجرة، «إماء أم عاهرات»، دابق 9: 45.

31 المرجع السابق ص 47

أحيانها بإذن الله بحد السيف وليس بالسلام أو المفاوضات أو الديمقراطية أو الانتخابات. أقمناها على هدي النبي بالسيوف المضرجة بالدماء وليس بالأصابع التي تصوّت أو تغرد»<sup>36</sup>

وعلى الرغم من أن أحدًا لا يستطيع أن يحكم على داعش بأنها تتبع سبيلًا سياسيًا صحيحًا، إلا أن النساء التابعات للتنظيم لم يستوعبن تصريح زعيم التنظيم أبو بكر البغدادي بسهولة، مما دفع مسؤولي صحيفة دابق إلى استغلال صوت المرأة لتجميل صورة الاستعباد الجنسي بغية إغراء الرجال والنساء التابعين للتنظيم، بالرغم من تفاوت درجة قبول كل من الجنسين إزاء هذا الأمر. وفي اختتام مقالتها، كان من الواضح أن أم سمية لم تعد تصبر على أي من الأصوات التي تنادي بحقوق المرأة. وفي وقت نشر المقالة، كان باراك أوباما لا يزال رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية، وقد أكدت أم سمية أن الرئيس أوباما إذا كان في موقف قوي يسمح له بتأسيس دولة للخلافة فإن «أسواق الإماء كانت ستقام رغمًا عن المستقيمين سياسيًا! ومن يدري؟ ربما لا يتجاوز سعر ميشيل أوباما ثلث الدينار، بل إن ثلث الدينار كثير عليها!» إذًا فالرسالة التي تريد أم سمية إيصالها متعلقة بالقوة السياسية، أي أن تأسيس الدول القوية حتى على يد رؤساء ليبراليين مثل أوباما مرتبط دائمًا بالاستعباد الذي يشمل الاستعباد الجنسي.

وقد أشارت داعش أيضًا إلى اعتبار سياسي جديد لتبرير الاستعباد الجنسي وهو أنه إحدى العلامات الأخروية الإسلامية التي تسبق الملحمة الكبرى التي يعقبها يوم القيامة. وعلى الرغم من أن هذه النقطة لم تتكرر كثيرًا في منشورات داعش، فقد تم تسليط الضوء عليها في أول مقالة إنجليزية تحدثت عن استرقاق النساء الأيزيديات حيث أشارت إلى حديث النبي محمد إن «من علامات الساعة أن تلد الأمة ربّتها» (دابق 4 / سبتمبر/ أيلول- أكتوبر/ تشرين الأول 2014: 15). وبعد مرور سنة تقريبًا ترجمت هذه المقالة ونُشرت في صحيفة دار الإسلام الصادرة باللغة الفرنسية (5 يوليو/ تموز- أغسطس/ آب 2015: 24).

## تحديات الاستعباد الجنسي

كما ذكرنا سابقًا، فإن نساء داعش لم يوافقن بسهولة على تعدد الزوجات ومن ثم تعد معارضتهن للاستعباد الجنسي أمرًا منطقيًا. ومن المفارقات أنه من أجل ترويض الزوجات المعارضات للاستعباد الجنسي في تنظيم داعش، أخذت بعض المقالات تبين فضائل التلطف في معاملة الإماء. وعابت إحدى المقالات التي نُشرت في الصحيفة الأسبوعية الصادرة باللغة العربية (النبأ 47/ سبتمبر/ أيلول 2016: 13) على الزوجات اللاتي دفعتن الغيرة إلى ضرب الإماء وسبهن. ولا يُعرف ما إذا كان الأمر يقتصر على الضرب والسب أم بلغ حد الإساءة إلى أزواجهن أيضًا.

وفي محاولة لنصح الزوجات اللاتي يُسئن معاملة الإماء، تستشهد المقالة بنصوص مطولة تدعو المسلمين إلى معاملة الرقيق من العبيد والإماء بلطف، كما تستشهد بمصادر تبيح للرجال معاشرة الإماء. كما تذكّر المقالة «الأخت المسلمة» وتقول لها إن «من الواجب عليك إن رأيت منهن خطأ أن تعلميهن وتنصحين، وتحوفيهن بالله العظيم، لا أن تتواولي عليهن باليد واللسان!».

وبإمعان القراءة في المقالة التي تدعو إلى التلطف مع الرقيق، سرعان ما يتضح أن داعش لا تأبه لوضع «اتفاقية جنيف» خاصة بها، كما لو كانت مهتمة بحقوق أسرى الحرب. بل بالأحرى، فقد مارس التنظيم سياسة الاستعباد الجنسي التي نتج عنها مشكلات أسرية كبيرة تجاوزت ما كان يمكن للزوجات أن يتوقعنه. وليس أدل على ذلك من تحذير المقالة نفسها للزوجة التي «تستاء من زوجها لأنه جعل للجارية بيتًا مستقلًا»، إذ تلقي باللائمة على الزوجة نفسها فتقول «وعلى هذه أن تعلم أنه لو كُفّت هذه الزوجة شرها عنه وعن أمته، وارتاح في بيته [للاستمتاع بمعاشرة أمته]، لما فعل ذلك [تخصيص بيت مستقل للجارية]». وهذا أمر مهم: فالشريعة الإسلامية وإن كانت تجبر الزوج على توفير منزل مستقل لكل زوجة إلا أنها لا تلزمه بمنزل مستقل للجارية.

إن هذا النموذج الأسري يشبه في جوهره رؤية الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز؛ إذ يبدو كحرب تحارب فيها النساء بالنساء، والزوجات بالزوجات، والإماء بالزوجات. أما الإماء فهن يعانين واقعًا مظلمًا يزداد سوءًا بعد سوء لأنه ليس أمامهن إلا تحمل الاعتداءات اللفظية والبدنية من الزوجات الأخريات بسبب الغيرة، والإساءة الجسدية من الرجال الذين يدعون تملكهن.

## النساء في ساحة القتال

درس محللون سياسيون، لاسيما في مجال مكافحة الإرهاب، إمكانية تجنيد داعش للنساء كمقاتلات بعد أن تكبدت خسائر في أراضيها، حتى أن بعض التقارير الإعلامية خلصت إلى أن «الخطة الجهادية تهدف إلى استخدام النساء لإحياء تنظيم داعش من جديد»<sup>37</sup>. ويتعرض ما بقي من هذا القسم لدور نساء داعش في ساحة القتال وفقًا للسياق الأوسع للنظرة العالمية للتنظيم، ولا سيما تركيزه على الفصل بين الجنسين.

37 سعاد مخنت وجوي واريك «الخطة الجهادية البديلة لاستخدام داعش النساء في الحرب»، واشنطن بوست، 26 نوفمبر 2017، [https://www.washingtonpost.com/world/national-security/the-jihadist-plan-to-use-women-to-launch-the-next-incarnation-of-ISIL/2017/11/26/e81435b4-ca29-11e7-8321-481fd63f174d\\_story.html?utm\\_term=.e5eb0be3c433](https://www.washingtonpost.com/world/national-security/the-jihadist-plan-to-use-women-to-launch-the-next-incarnation-of-ISIL/2017/11/26/e81435b4-ca29-11e7-8321-481fd63f174d_story.html?utm_term=.e5eb0be3c433). انظر أيضًا مقالة إليزابيث بيرسون «كيف تعني نساء داعش الانتحاريات انتهاء حلم الخلافة»، نيوزويك، 18 يوليو 2017، <http://www.newsweek.com/why-isis-female-suicide-bombers-mean-end-caliphate-dream-637892>; جاك مور «محاولات اجتذاب داعش للمجاهدات في العراق وسوريا في ازدياد»، نيوزويك، 4 سبتمبر 2017، <http://www.newsweek.com/isis-increasingly-trying-attract-women-fighters-iraq-and-syria-659181>



## رؤية داعش لجهاد النساء

الجنسين. وفي هذا الشأن، نجد أن داعش قد اتخذت نفس الموقف الذي اتخذته الجماعات الجهادية الأخرى فيما يتعلق بدور المرأة في القتال. ففي المنشورات التي شملتها هذه الدراسة، هناك إشارة إلى أن داعش تسمح للنساء بالقتال لكن في حالة معينة فقط وهي «دخول العدو بيتهن». بل هنا يصبح الجهاد «فرصاً عليهن كما هو فرض على الرجال». فإذا حدث ذلك، فإن «على النساء صد هذا العدوان بكل ما أوتين من قوة» (النبا 59 / ديسمبر/كانون الأول 2016: 15).

ولعل داعش دعت النساء إلى تطبيق نظام الحسبة. فأمرت، على سبيل المثال، باعتقال النساء اللاتي يخالفن لباسهن ضوابط اللبس التي وضعتها داعش. وقد ذكرت بعض النساء الهاربات والضحايا في مقابلات أجريت معهن إن تنظيم داعش قد شكّل مجموعات نسائية لتنفيذ سياسات مراقبة الأخلاقيات أو الحسبة، إلا أن هذا لم يُترجم على أنه دور قتالي تطلّع به النساء.<sup>41</sup>

## الهالة الداعشية حول النساء المقاتلات

على عكس الجماعات الجهادية الأخرى، تتميز داعش برسم هالة حول نساها المقاتلات. أولاً، فقد حظيت داعش بدعم أكبر من النساء عبر الإنترنت وعلى شبكات التواصل الاجتماعي. ومن هؤلاء النساء، على سبيل المثال، أحلام النصر، التي وُصفت في المنتديات الجهادية بأنها «شاعرة الدولة الإسلامية»، وأمها، الدكتورة إيمان مصطفى البغا، ولكلتيهما نشاط على الإنترنت لدعم تنظيم الدولة الإسلامية. وتصف الوثائق الداخلية التي تسرّبت من داعش الدكتورة البغا بأنها «منظرة» لكن كتاباتها لم تظهر في منشورات التنظيم.<sup>42</sup> وعلى الرغم من أن أميمة الطواهري، زوجة زعيم تنظيم «القاعدة» الحالي أيمن الطواهري، قد كتبت بعض الرسائل القصيرة الموجهة إلى النساء على الإنترنت إلا أن كتاباتها كانت محدودة مقارنة بالسجل الهائل لكتابات أحلام والدكتورة البغا. وهناك فرق آخر هو أنه في حين كانت لهجة رسائل أميمة الطواهري معتدلة، فإن كتابات أحلام والدكتورة البغا كانت في بعض الأحيان تحمل نبرة عدائية (ضد أعداء داعش ومن ينتقدونها).<sup>43</sup>

من الجدير بالذكر أن تعاليم الشريعة تفرض الجهاد على الرجال والنساء في حالة دخول العدو بلاد المسلمين فيما يُسمى بجهاد الدفع. لكن أصحاب المذاهب والقادة الجهاديين يستثنون النساء من القتال.<sup>38</sup> وقد برروا ذلك بتعدّد وجود محارم لاصطحاب كل امرأة في القتال. أما تعاليم الشريعة فلا تشترط وجود محرم حيث أن جهاد الدفع عن البلاد يمثّل حالة استثنائية. وعلى الرغم من ذلك، يمثّل هذا الاستبعاد تناقضاً داخلياً في الأفكار الجهادية، ويدحض دعوة هذه الجماعات للجهاد الدفاعي<sup>39</sup> إلا أنه ينبغي التفريق بين النساء المقاتلات والمفجرات الانتحاريات. لكن المفكرين والقادة الجهاديين لا يمانعون من استخدام النساء كانتحاريات على أسس أيديولوجية. ولماً كانت المهام الانتحارية يمكن تنفيذها مع الالتزام بقواعد الفصل بين الجنسين، فإنه من الممكن أن يرافق المرأة في مهمتها الانتحارية أخوها أو أبوها أو ابنها أو زوجها حتى لا يُخدش حياؤها عندما تختلط بالرجال دون محرم.

تقدّر الجماعات الجهادية، كالقاعدة وداعش، النساء اللاتي شاركن في الحروب الإسلامية، وتثني عليهن، خاصة من قاتلن مع النبي محمد. لكن هذه الجماعات لم تسمح للمرأة بالجهاد بل كان شغلها الشاغل التأكيد على أن جهاد النساء يكون في بيوتهن من خلال مساندة أزواجهن وإنجاب الأطفال وتنشئتهم على حب الجهاد. كما دعت هذه الجماعات النساء إلى الجهاد عن طريق الوعظ، سواءً وجهاً لوجه أو إلكترونياً، بالكتابة عبر وسائل الإعلام والإنترنت، وحث أزواجهن وأبنائهن وأقاربهن على الجهاد، ومعاتبتهم إن لم يفعلوا ذلك. ولعل أقوى إشارة في الأدبيات الجهادية إلى النساء والقتال جاءت على لسان أبي مصعب الزرقاوي زعيم تنظيم داعش الأم (الذي قُتل في يونيو/حزيران 2006) حين قال «أيها الناس ما لكم نسيتم دينكم ... أنتمعمون بلذائذ الحياة وإخوانكم هناك يتسربلون اللهب يخوضون النار وينامون على الجمر ... فإن لم تكونوا من فرسان الحرب فافتحوا الطريق للنساء ... والله لقد أضع الرجال رجولتهم».<sup>40</sup> وبقراءة البيان في مجمله، يتبين أن الزرقاوي لم يكن يدعو النساء إلى الانضمام إلى الرجال في ساحة القتال، بل كان يعيب على الرجال الذين يتهيبون الانخراط في القتال.

من العسير الوقوف على كيفية توفيق تنظيم داعش بين موقفه المتشدد تجاه الفصل بين الجنسين، وفي الوقت نفسه السماح للرجال والنساء بالقتال معاً في ساحة المعركة، والذي يستلزم الاختلاط بين

41 أسعد حمد المحمد وأن سبيكار «الرتب العاملة وأدوار عناصر داعش النسائية: من القنلة وموظفي هيئة الحسبة إلى الجواسيس والمفجرات الانتحاريات»، المركز الدولي لدراسة العنف المتطرف، 23 أبريل/نيسان 2017، <http://www.icsve.org/research-reports/>.  
42 راجع الوثيقة التي نشرها أيمن جواد التميمي في مقالته «قصص المجاهدين»: سير خفية للأعضاء البارزين في الدولة الإسلامية»، 24 أغسطس/آب 2016، <http://www.aymennjawad.org/19132/the-archivist-stories-of-the-mujahideen-unseen>. حيث تذكر الوثيقة فقط أبناء الدكتورة البغا الذين ماتوا في القتال من أجل داعش، دون أن تذكر ابنتها أحلام النصر.

43 نشر هذا الموضوع في كتاب نيللي لحدود «هل يمكن للنساء أن يكن جنوداً للدولة الإسلامية؟» البقاء: السياسة والاستراتيجية العالمية، فبراير/شباط - مارس/آذار 2017، ص 61-78.

38 للاطلاع على مناقشة مستفيضة حول هذا الموضوع راجع كتاب نيللي لحدود «الجنس المهمل» ص 781-9.

39 المرجح السابق  
40 أبو مصعب الزرقاوي «الحق بقافلة الجهاد»، <http://www.rouqyah.com/showthread.php?t=8853>. آخر دخول في 10 يناير/كانون الثاني 2018.

وهو منفذ هجوم نيس في فرنسا عام 2016 حيث صدم بشاحنة كان يقودها حشدًا من الناس أثناء احتفالهم بيوم الباستيل مما أسفر عن مقتل 84 شخصًا.<sup>47</sup>

وبغض النظر عما سبق، فإن وصف المجندات بالمناصرات بدلاً من الجنديات لم يرض مؤيدي داعش. فقد تساءل أحد أعضاء موقع «شبكة شموخ الإسلام» الجهادي المؤيد لداعش عما إذا كان سيسمح للنساء بالمشاركة في القتال؛ لأنه يرى أن هذه التسمية ستفتح الباب أمام النساء المسلمات لتقليد «النساء الكافرات» في سلوكهن فيضطرون إلى إغواء العدو عن طريق التظاهر بالدخول في علاقة حميمة معه، حتى إذا أصبح في مكان وحيدًا معزولًا يتسنى لها أو لأي مسلم آخر قتله.<sup>48</sup> وقد أثار هذا السؤال نقاشًا محتدمًا حول أهمية الحفاظ على عفة المرأة.

المثال الثاني هو مقطع فيديو نشره مركز الحياة للإعلام التابع لتنظيم داعش في فبراير/شباط 2018 باللغتين العربية والإنجليزية وتظهر فيه مجموعة من النساء اللاتي يقاتلن ضد حزب العمال الكردستاني. ومقطع بعنوان «الجنة تحت ظلال السيوف» يرى فيه المشاهد رجالاً على عكاز وكراسي متحركة يحملون بنادق استعداداً لمحاربة من يفهم الراوي «بالأكراد الملحدون» الذين أسسوا دولتهم «العلمانية العنصرية الزائفة ... روج آفا». يقول الراوي إنه لإلحاق الهزيمة بهذا العدو «نفر أبناء الخلافة على قلب رجل واحد على الرغم من جراحهم (مع التأكيد) ويسبرون في صفوف لا يختلط الرجال بالنساء تتبعم امرأة مجاهدة عفيفة مهاجرة إلى ربها مرتدية ثياب الطهارة ومؤمنة بالثأر لدينها وشرف أخواتها اللاتي سجنهن الأكراد المارقون ... يطلقون شرارة الحرب انتقامًا للنساء العفيفات. إنها حملة تبدأ حقبة جديدة من الفتح بإذن الله.»

وظهرت جميع النساء في مقطع الفيديو باللباس الشرعي الذي فرضته داعش لدرجة أن المشاهد لا يمكنه معرفة ما إذا كن بالفعل نساءً أم رجالاً يرتدون ملابس النساء، لكن كل ما يهم داعش هو أن تظهر النساء كمقاتلات بين صفوف التنظيم. فهل يشير هذا الفيديو إلى أن داعش ستسمح للمرأة بالفعل بأن تصبح مقاتلة؟ أم أنها تسعى إلى التظاهر بتمكين المرأة دون تطبيق ذلك على أرض الواقع؟

وعند تحليل هذا الفيديو بعين ناقدة، ندرك أنه من المشكوك فيه أن تكون داعش جادة في إعطاء المرأة دورًا في القتال. فقبل كل شيء، ومن الناحية العملية، لن تستطيع النساء أن يقاتلن بكفاءة وهن مرتديات العباءات الفضفاضة التي فرضتها داعش عليهن كما يظهر في الفيديو.

وقد أعربت بعض النساء صراحة عن رغبتهن في القتال مع داعش؛ إذ أبدت أحلام النصر، على سبيل المثال، رغبتها في المشاركة في الجهاد «بكافة أنواعه: الجهاد الروحي (جهاد النفس) وجهاد الوعظ والتعليم، لجهاد [جمع] المال [للنهوض بقضيتنا]، والجهاد بالسلاح»<sup>44</sup> ولم تذكر أحلام النصر إنها شاركت في الجهاد، بل شاركت الآخرين فرحتها بزواجها من «أحد جنود الدولة الإسلامية» مشيرة بكل فخر إلى أن مراسم الزواج تمت في محكمة إسلامية تابعة لداعش<sup>45</sup> لتؤكد أن داعش قد أنشأت مؤسسات رسمية للدولة. وفي فبراير/شباط 2018، كتبت مقالة تستخدم فيها اسمًا جديدًا هو «أم أسامة الدمشقية» في إشارة إلى أنها أنجبت ولدًا أسمته أسامة.<sup>46</sup>

وبالتأكيد على المسألة القتالية تحديدًا، نجد أنه عندما كان نجم تنظيم الدولة الإسلامية في صعوده، أخذت وسائل الإعلام المؤيدة له في نشر المقالات التي تشير عناوينها إلى وجوب استعداد النساء للحرب. لكن يجب الانتباه إلى أن هذه ليست وسائل الإعلام الرسمية للتنظيم بل مجرد وسائل داعمة له، حيث أصدرت منشورات شملت صُحف وكتيبات بعنوانين تحث على التسابق مثل: «خطوات جبارة لمن أرادت النفير» وسلسلة من الكتيبات المصممة لتدريب المرأة المسلمة وإعدادها للجهاد: «سلسلة إعداد المسلمة: استعدي للنفير».

وعند قراءة عناوين هذه المنشورات، لا يمكن لوم النساء الراغبات في الاضطلاع بدور في هذه الدولة البديلة إن ظنن أن داعش سترحب بهن ليس كزوجات لمقاتليها فحسب، بل أيضًا كمجندات في صفوفها. وعلى الرغم من ذلك، فمحتوى هذه المنشورات لا يرتقي لما تنبئ عنه عناوينها؛ ولا يتعدى تشجيع النساء على مشاهدة مقاطع فيديو تحتوي على بعض التدريبات الأساسية على استخدام الأسلحة للدفاع عن النفس، لكن لا تحتوي على أي تدريبات جادة على القتال. كما ينصب أغلب التركيز على الأمور الأسرية، والتأكيد على أدوار المرأة التقليدية بما في ذلك طرق تحضير وصفات شهية للجهاديين.

وعلى الرغم من ذلك، فهناك مثالان متباعداً لموقف داعش من دور المرأة في القتال ينبغي تسليط الضوء عليهما. الأول هو الهجوم الذي نفذته داعش في سبتمبر/أيلول 2016 على مركز شرطة في مومباسا بكينيا على يد ثلاث نساء؛ حيث رحبت صحيفة «النبأ» بخبر الهجوم (العدد 47 / سبتمبر/أيلول 2016) ونشرته في صدر صفحتها الأولى. ووصفت الصحيفة النساء بأنهن «مناصرات» للدولة الإسلامية ولسن «جنديات» لأن التنظيم جعل مسمى «الجنود» مقصوراً على المقاتلين والمهاجمين الرجال فقط أمثال عمر متين (الذي فتح النار على ملهى ليلى للمثليين في أورلاندو بولاية فلوريدا)، ومحمد لحويج بوهلال

47 حول هجوم كينيا وردود الفعل على المنتديات الجهادية، راجع نيللي لحدو «هل يمكن أن يكون النساء جنودًا للدولة الإسلامية؟» البقاء: السياسة والاستراتيجية العالمية، فبراير/شباط 2017، ص 65-68.

48 كانت نقاشات المنتدى تحت عنوان «أسئلة حول أمل النساء في الجهاد»، شبكة شموخ الإسلام، بعد تقارير «أماق» عن هجمات مومباسا في 13 سبتمبر/أيلول 2016.

44 أحلام النصر، «الإرهاب ... الحياة الحقيقية» الغريب مبداء، 2014، ص 11.

45 المرجع السابق

46 أحلام النصر (أم أسامة الدمشقية)، «كروا ولا تفروا»، مؤسسة الوفا الإعلامية، فبراير/شباط 2018.

كما أن فكرة إظهار النساء اللاتي يقاتلن في الفيديو ليس المراد منها إبراز قدراتهن كمحاربات، حيث يظهر في المشهد الرجال المقعدون والمعاقون ثم النساء خلفهم وقد توجهوا للقتال والقضاء على روج آفا، وهي منطقة في سوريا يُعرف عن نسائها الأكراد ممارستهن للقيادة السياسية. ويتذكر الكثيرون ما شاهدوه على وسائل الإعلام المرئية من أعداد كبيرة لمقاتلات كرديات على الخطوط الأمامية في القتال ضد داعش وبالتحديد في كوباني (2014-2015).

وتتمثل الرسالة الأشمل التي يحملها مقطع الفيديو في إلزام جميع المسلمين بترجمة التزامهم الديني إلى تضحية واقعية، وأن تكون غايتهم الاستشهاد أثناء القتال وهذا ما يتضح جلياً في نهاية الفيديو. كما يوضح المقطع أيضاً أن داعش تستخدم القصة الواحدة لإيصال عدة رسائل تناسب مختلف الجماهير. ويختتم مقطع الفيديو بأبي عبد الله الشامي الذي يستعد للقيام بعملية انتحارية على كرسي متحرك وهو يؤكد لابنته التي فاضت عينها من الدمع حزناً على قرب فقد أبيها بأنه ذاهب إلى الجنة. كما كان إلى جانبه ولد صغير يدعى حمزة الذي كان متأثراً لكنه كان أكثر تماسكاً من الفتاة حيث قال له أبو عبد الله: «يا حمزة من يسأل عني قل له إن عمي أعتقني»؛ وفي ذلك إشارة إلى أن حمزة الصغير الذي صار حُرّاً طليقاً الآن كان عبداً لأبي عبد الله إما عن طريق السبي أو أنه كان قد اشتراه من شخص آخر.

ونستخلص من هذه النهاية المؤثرة ثلاثة أشياء: أولها، أنها رسالة واضحة تقول بأنه إذا أبدى رجل معاق عزمه على تنفيذ عملية استشهادية، فإن هذا يلغي أي عذر يقدمه الرجال والنساء القادرين للامتناع عن المشاركة، بل أنهم يجب أن يشعروا بالخزي؛ فقد كانت آخر كلمة قالها عبد الله قبل رحيله: «أدعوكم لتنفيذ العمليات الاستشهادية». ثانياً، قد يستميل المشهد الأشخاص الراغبين في الحصول على عبدٍ،

حيث يمكن لمقاتلي داعش أن يكون لهم عبيداً ليس من الصبيان فحسب، بل من الفتيات والنساء أيضاً. أما النقطة الثالثة في تلك النهاية فهي عطف أبي عبد الله وطيبته في التعامل مع عبده حيث أنه أعتقه قبل ذهابه إلى مهمته، وفي ذلك ما يؤثر بلا شك على قلوب من يعتقدون أن داعش ليس لديها ما تقدمه سوى العنف.

وبغض النظر عن الفائدة الترويجية التي تعود على داعش من هذا الفيديو، فإن مشهد قتال النساء قد يثير بعض المشكلات فيما بين بعض مؤيدي التنظيم وفيما بين الجماعات الجهادية المعادية لها. فمن حيث المبدأ، قد يكون هدف تنظيم داعش في النهاية هو تحقيق ما فشلت في تحقيقه الجماعات الجهادية الأخرى—مما فيها تنظيم داعش الأم—ولا سيما دور المرأة في القتال في ظل ظروف الحرب الدفاعية. كُنَّا قد ذكرنا من قبل إن الشرع يلزم المسلمين بأن ينفروا جميعاً - رجالاً ونساءً وقصرًا وعبيداً - للحرب في حالة دخول العدو بلادهم (النفي العام) للدفاع عن أنفسهم وبلادهم (جهاد دفع المعتدي) فيكون القتال في هذه الحالة واجباً عليهم (فرض عين) للدفاع عن دينهم. لكن السياق مختلف في هذا الفيديو الذي ظهرت فيه النساء؛ إذ يقول الراوي في المقطع إن ذلك ما هو إلا جزء من حقبة جديدة من الفتح، مما يعني أن المقاتلين ليسوا في حالة دفاع، بل أنهم في حرب هجومية (جهاد الطلب). وتحرّم القوانين التي تحكم جهاد الطلب على المرأة المشاركة فيه كمحاربات! كما أنه من المحتمل أن التنظيم يجد حرجاً في الاعتراف بأنه قد خسر أرض الخلافة وأنه صار الآن في مرحلة الحرب الدفاعية، لكن هذا الخطأ قد يكلف التنظيم الكثير والكثير.

## الاستنتاجات

التنظيم الإنجليزية والفرنسية، وعلى الرغم من اعتمادها لغة مختلفة للخطاب، عجزت عن إخفاء القوانين المعمول بها لفرض الفصل بين الجنسين، واستبعاد النساء، وتطبيق التنظيم الصارخ للاسترقاق والاستبعاد الجنسي. وقد حمل ذلك النساء على الوقوف في وجه سياسات داعش ومقاومتها كما يتضح جلياً في إصدارات التنظيم ذاته.

وفي ضوء ما سبق، فإنه من المهم أن نأخذ في الحسبان أن المبالغة في تضخيم قدرة تنظيم داعش على استمالة النساء وتمكينه لهن يؤدي إلى نتائج عكسية؛ حيث إن ذلك من شأنه تضليل النساء اللاتي يسعين إلى التمكين ويدفعن إلى تنفيذ هجمات باسم داعش، أو التوهّم بأنهن بالانضمام إلى هذه الدولة الناشئة سيحصلن على مواقع قيادية و/أو سيضطلعن بدور فاعل في المهام القتالية.

### تقييم دور المرأة في القتال

رغم نشر الفيديو الذي تظهر فيه مقاتلات ترتدين الملابس النسائية (وفقاً لقواعد اللباس التي تفرضها داعش) إلا أنه يظل من الصعب على التنظيم التوفيق بين سياسة الفصل بين الجنسين التي يعتمدها ونشر النساء في ساحات القتال أو توليتهن مناصب قيادية. ومن ثم، تقوم النساء اللاتي ينضممن إلى تنظيم داعش بأدوار تقليدية؛ مثل مساعدة رجال التنظيم كزوجات وأخوات وبنات وأمهات، ومن خلال ضم أصواتهن إلى الخطاب الذي يعتمده التنظيم. ويلا يعني ذلك عدم تصرّف بعض النساء من تلقاء أنفسهن لمساعدة التنظيم، مثلما فعلت النساء اللاتي هاجمن مركز الشرطة في مومباسا. لكن الخطر الناتج عن ذلك لا يختلف عن الخطر الذي يشكّله إقدام رجال يستلهمون أفكارهم من داعش على القيام بهجوم إرهابي من تلقاء أنفسهم.

ولتوضيح ما سبق، فإنه يمكن للمرأة أن تكون متطرفة، وإرهابية، ومقاتلة، ومن ثم تتسبب في تهديدات أمنية للمجتمع الدولي بقدر ما يتسبب الرجل في ذلك. ولكن في سياق الجماعات الجهادية، وتحديداً داخل داعش، يتوقف اضطلاع المرأة بدور عسكري وقيادي على اعتراف التنظيم بوكالة المرأة ومساواتها بالرجل. فإذا اعترفت داعش بذلك، فإنها لن تصبح الجماعة الجهادية التي نعرفها. لأن الجماعات الجهادية الآن تستخدم النساء كأدوات للقتال (مثل المفجرات الانتحاريات) وستستمر في الاعتماد عليهن في قضاء احتياجاتهم الأسرية، وستظل داعش أيضاً تعد مقاتليها بالحصول على عبيد الجنس كمكافأة على تحقيق الانتصارات العسكرية. فخلاصة القول إداً أن داعش ستواصل إسماعنا «جعجعة» النساء، المؤيدات لها بالطبع، لكن من غير المرجح تماماً أن تنضم النساء إلى صفوف الرجال في ساحات المعارك.

تناول القسمان الأول والثاني الفكرة الرئيسية التي قامت عليها هذه الدراسة وهي: كيف يمكن لجماعة تتبنى رؤية عالمية صريحة تشجع على قهر المرأة واستبعادها جنسياً أن تنادي بتمكين المرأة وتبدو وكأنها تقدم أدوات هذا التمكين للمرأة؟

وفي حين تحتوي صُحف داعش الصادرة باللغتين الإنجليزية والفرنسية على مقالات يُزعم أنها كُتبت من قبل نساء يدافعن عن نظرة داعش العالمية وتبيننها، فإن المحتوى الفعلي للخطاب الداعشي لم يقدم للنساء أي أدوات للتمكين. فقد أظهر صوت النساء في منشورات داعش الرسمية وكالة المرأة، بينما روج فحوى الخطاب لسياسات تقوم على قهر النساء مع تعزيز الفصل بين الجنسين والاستبعاد الجنسي. وتحقيقاً لتلك الغاية، استخدمت داعش النساء وأصواتهن (على حد زعمهم) وتجاربهن كأدوات لتعزيز نظرة التنظيم العالمية، ولا سيّما النظام الاجتماعي المتشدد واستبعاد النساء.

وعلى الرغم من ذلك، فبينما لا تظهر وكالة المرأة في كتابات داعش أو نظرتها العالمية، إلا أن ذلك يسهل إدراكه—حتى في أصعب الظروف—من المقالات التي تلوم النساء على مقاومتهن لتعدد الزوجات والاستبعاد الجنسي، وعلى عدم التزامهن بقواعد اللباس الذي فرضته داعش. ولأسباب واضحة، لا يتسنى لنا أن نسمع أصوات النساء أنفسهن في هذه المسائل، لكن من خلال إمعان قراءة هذه الصُحف، يمكن للقارئ أن يستشف استياءهن.

بالإضافة إلى ذلك، يوفر التحليل المنهجي لكتابات داعش الخاصة فرصة جديدة لطرح أسئلة مختلفة تتعلق بفكرتين رئيسيتين. أولهما، الطريقة التي ينبغي أن تصاغ بها السياسات التي تتناول وسائل الترغيب والترهيب التي تستخدمها جماعات مثل داعش مع النساء. وبصورة أدق، هل يجب مواجهة الخطاب الداعشي؟ وكيف يمكن ذلك؟ أما الفكرة الثانية، فهي تقييم إمكانية تسليح داعش للنساء.

### التمكين مقابل الاستبعاد: ما مدى جاذبية

#### الخطاب الداعشي؟

ولدت الكثير من الأدبيات الثانوية التي تقيّم مدى جاذبية تنظيم داعش بين النساء شعوراً بأن التنظيم قد منح المرأة من التمكين ما لم تمنحه الجماعات الجهادية الأخرى. فإذا كان التمكين وروح المغامرة هما السبب وراء انضمام النساء إلى تنظيم الدولة الإسلامية، فيجب أن يعتمد الخطاب المضاد بدرجة كبيرة على توضيح حقيقة نظرة داعش العالمية التي لا تقدّم للمرأة أي شكل من أشكال التمكين أو المغامرة. حتى منشورات

# الملحق 1: صُحفُ النّبأ، ودابق، ودار الإسلام، ورومية

هنا جاء إطلاق هذا الاسم على الصحيفة وفاءً بوعد أبو حمزة التي كُتبت كلماته على عنوان الصحيفة مباشرة تحت اسم «رومية».

وفي حين تتميز صحيفة «النّبأ» بنشر أخبار المعارك وغيرها من الأحداث بالتفصيل، تركز الصُحفُ الصادرة باللغتين الإنجليزية والفرنسية بشكل أكبر على أعمال تنظيم الدولة الإسلامية في بلاد الخلافة. فإلى جانب إدراج أقسام خاصة بأخبار الخلافة، تميل هذه الصُحفُ إلى نشر مقالات أطول تتناول أخبار أنشطة مؤسسات الدولة التي توضح كيفية قيام التنظيم بترجمة تعاليم الإسلام إلى واقع ملموس. كما أنها تحتوي على مقالات تهدف إلى التوجيه التربوي للمواطنين حول القواعد السياسية الإسلامية (كالإمامة/الخلافة) والقواعد الشخصية (كالصلاة والصيام).

وإذا كانت صحيفة «النّبأ» تقدم الموعظة لمن انضموا بالفعل إلى داعش وتلبي احتياجات مقاتليها ممن يتحدثون العربية، فإن الهدف من رسائل الصُحفُ الصادرة باللغتين الإنجليزية والفرنسية كان في بادئ الأمر جذب المتعاطفين للانضمام إلى التنظيم. أو بمعنى أدق، بدأت الرسائل التي تنشرها الصُحفُ تعمل بصورة أساسية على استقطاب من يريدون أن ينضموا إلى دولة بديلة. ومن ثم، نجد أن فكرة «الهجرة» تكررت على صفحات هذه الصُحفُ لجذب الرجال والنساء على حدٍ سواء (دار الإسلام 3 مارس/أذار- أبريل/ نيسان 2015: 7-32) هي بمثابة دعوة موجهة إلى المتحدثين بالإنجليزية والفرنسية للسفر إلى أرض الخلافة. ومع مرور الوقت، صارت هذه الصُحفُ تركز أيضًا على القضايا التي تهم كل من المقيمين في أرض الخلافة ومن يعيشون خارجها أملًا في إقناعهم بالانضمام إلى التنظيم.

تمثّل صُحفُ النّبأ (باللغة العربية)، ودابق ورومية (باللغة الإنجليزية)، ودار الإسلام ورومية (باللغة الفرنسية) مجتمعة منشورات داعش «الرسمية» على شبكة الإنترنت. وبما أنها صادرة عن التنظيم، فإن محتواها يعرض آراء داعش الرسمية في الموضوعات التي تتناولها. وبذلك، تختلف هذه الصُحفُ عن منشورات القنوات الإعلامية المؤيدة لداعش، بما فيها المنشورات التي يبثها أفراد مؤيدون لداعش على المنتديات وشبكات التواصل الاجتماعي.

أما «النّبأ» فهي صحيفة أسبوعية تصدر باللغة العربية. ويوحى اسم الصحيفة «النّبأ» بأن الهدف منها هو تغطية أخبار التنظيم، لا سيما أخبار انتصارات داعش سواءً في أرض الخلافة التي تشمل الولايات المختلفة التي أعلنتها التنظيم في مختلف أنحاء العالم، والضربات والهزائم التي تُلقحها بأعدائها. وتنشر هذه الصحيفة—بالإضافة إلى مواد أخرى—مقابلات مع مختلف قادة داعش، وتنعى المقاتلين الذين سقطوا في المعارك، كما تنشر مقالات افتتاحية تتناول التعاليم الدينية بهدف التأسيس لقانون أخلاقي يحكم سلوك رعايا دولة الخلافة. ومعظم المقالات التي تنشرها الصحيفة مجهولة ولا تتجاوز الصفحة الواحدة. وقد نشرت عدة قنوات إعلامية تابعة لداعش صورًا لتوزيع صحيفة النّبأ على المقاتلين المرابطين على حدود الأراضي الواقعة تحت سيطرة داعش، ويدل ذلك على أن داعش تعتبر المقاتلين الذكور الناطقين بالعربية الجمهور الرئيسي الذي تخاطبه «النّبأ».

وأما صُحفُ دابق (باللغة الإنجليزية) ودار الإسلام (باللغة الفرنسية)، ورومية التي صدرت في سبتمبر/أيلول 2016 (باللغتين الإنجليزية والفرنسية) فهي صُحفُ شهرية تُنشر فيها أخبار دولة الخلافة أيضًا ولكن بأسلوب أكثر موضوعية. ويشير اسم «دار الإسلام» إلى المنطقة الجغرافية التي يكون للإسلام فيها السيادة، وأما «دابق» فهو اسم المنطقة السورية التي سددور فيها المعركة الأخيرة الفاصلة قبل يوم القيامة (دابق 1 / يونيو/حزيران- يوليو/تموز 2014: 4) وفقًا لعلم الأرويات الإسلامية. وأما «رومية» فهي إشارة إلى مدينة روما التي تقع فيها الفاتيكان، ويوحى ذلك بأن التنظيم في طريقه إلى فتح معقل المسيحية. وقد كان أبو حمزة المهاجر (الذي قُتل عام 2010) وزير الحرب في الدولة الإسلامية في العراق، وهي التنظيم الأم للدولة الإسلامية الحالية في العراق والشام، قد توعد بأن مقاتلي التنظيم لن يتركوا أسلحتهم ويتوقفوا عن الجهاد إلا بعد الاستيلاء على روما. ومن

## الملحق 2: المنهجية والمصادر

صدر في يوليو/أغسطس (تموز/آب) 2016 ليصبح إجمالي ما صدر 15 عددًا. وقد حلت هذه الدراسة جميع المقالات ذات الصلة.

• العدد الأول من صحيفة 'دار الإسلام' الشهرية باللغة الفرنسية الصادر بتاريخ ديسمبر (كانون الأول) 2014/يناير (كانون الثاني) 2015. أما آخر عدد فكان أغسطس/سبتمبر (آب/أيلول) 2016 ليصبح إجمالي ما صدر 10 أعداد.

• العدد الأول لصحيفتي «رومية» باللغتين الإنجليزية والفرنسية الصادران بتاريخ سبتمبر/أكتوبر (أيلول/تشرين الأول) 2016، وبحلول فبراير/شباط 2017 كان إجمالي ما صدر هو ستة أعداد بكل لغة من اللغتين ليصبح إجمالي ما صدر باللغتين 13 عددًا. ومنذ أكتوبر/تشرين الأول 2017 لم تصدر أي أعداد بأي من اللغتين، وفي وقت استكمال هذا التقرير، كان آخر عددين صدرا بالإنجليزية والفرنسية هما المؤرخين بتاريخ سبتمبر/أكتوبر (أيلول/تشرين الأول) 2017.

وخلاصة القول أنه فيما يتعلق بمنشورات تنظيم داعش الرسمية، شملت هذه الدراسة 70 عددًا من صحيفة «النبأ»، و15 عددًا من صحيفة «دابق»، و10 أعداد من صحيفة «دار الإسلام»، و6 أعداد من صحيفة «رومية باللغة الإنجليزية»، و6 أعداد من صحيفة «رومية باللغة الفرنسية». بالإضافة إلى ذلك، فقد حلت هذه الدراسة منشورات القنوات الإعلامية المؤيدة لداعش حيثما تطلب الأمر ذلك.

قامت هذه الدراسة على قراءة منهجية في الخطاب الرسمي الذي تعتمده داعش من خلال صُحُفها الصادرة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية وهي النبأ (بالعربية) ودابق ورومية (بالإنجليزية) ودار الإسلام ورومية (بالفرنسية) وكلها مؤرخة بالتاريخ الهجري، ولكن تم تحويل هذه التواريخ هنا إلى ما يوافقها في التقويم الميلادي.

يشمل هذا التحليل جميع أعداد الصُحُف منذ صدورها وحتى فبراير/شباط 2017 وهي الفترة التي شهدت نجاحات الدولة الإسلامية، وإخفاقاتها، وتوسعاتها، وتراجعها، والخسائر التي مُنيت بها. وكانت الأعداد الأولى من صحيفة «رومية» قد صدرت باللغتين الإنجليزية والفرنسية في سبتمبر/أيلول وأكتوبر/تشرين الأول من عام 2016 لتحل محل «دابق» و«دار الإسلام» عندما كانت داعش تعاني من تسارع وتيرة الخسائر التي مُنيت بها وتقلص مساحة الأراضي الواقعة تحت سيطرتها. ومن ثم، فإن الصُحُف التي تغطيها هذه الدراسة هي:

• العدد الأول من صحيفة 'النبأ' الأسبوعية باللغة العربية الصادر بتاريخ 18 أكتوبر/تشرين الثاني 2015. وبحلول فبراير 2017 كانت الأعداد قد بلغت 70 عددًا. وقد حلت هذه الدراسة كل المقالات ذات الصلة. وعند استكمال هذا التقرير (في يناير/كانون الثاني 2018) كان التنظيم مستمرًا في إصدار الصحيفة.<sup>49</sup>

• العدد الأول من صحيفة «دابق» الشهرية باللغة الإنجليزية الصادر بتاريخ يونيو/يوليو (حزيران/تموز) 2014، أما آخر عدد

49 تجدر الإشارة إلى أن صحيفة النبأ قد مرت بعدة مراحل، حيث صدر أول عدد منها في مايو/أيار 2010 عندما كانت التنظيم يسمى دولة العراق الإسلامية. ولغرض هذه الدراسة، أقوم بتحليل المرحلة الأخيرة (المستمرة)، الإنتاج الأسبوعي، كما يقول التنظيم نفسه. راجع «أهم المراحل في مسيرة تطوير النبأ»، 12 مايو/أيار 2016. وقد نُشرت المقالة على Justpaste it، لكن الرابط لم يعد يعمل ومتوفر منها نسخة مطبوعة.



# هيئة الأمم المتحدة للمرأة، هي هيئة منظمة الأمم المتحدة المعنية بالمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة. وتعد الهيئة النصير العالمي لقضايا المرأة والفتاة، حيث أنشأت لغرض تسريع وتيرة التقدم في تلبية احتياجاتهن على الصعيد العالمي.

تدعم هيئة الأمم المتحدة للمرأة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في وضع معايير عالمية لتحقيق المساواة بين الجنسين؛ إذ تعمل مع الحكومات والمجتمع المدني على وضع القوانين والسياسات والبرامج والخدمات اللازمة لتنفيذ هذه المعايير. وتقف الهيئة وراء مشاركة المرأة على قدم المساواة في جميع جوانب الحياة، مع التركيز على خمسة مجالات ذات أولوية: تعزيز قيادة المرأة ومشاركتها؛ إنهاء العنف ضد المرأة؛ إشراك المرأة في جميع جوانب عمليات السلام والأمن؛ تعزيز التمكين الاقتصادي للمرأة؛ وجعل المساواة بين الجنسين هدفاً أساسياً في التخطيط والميزنة الإنمائية الوطنية. كما تقوم هيئة الأمم المتحدة للمرأة بتنسيق ودعم عمل منظومة الأمم المتحدة في تعزيز المساواة بين الجنسين.



Planet 50-50 by 2030  
Step It Up for Gender Equality

220 East 42nd Street  
New York, New York 10017, USA  
Tel: +1-646-781-4400  
Fax: +1-646-781-4444

[www.unwomen.org](http://www.unwomen.org)  
[www.facebook.com/unwomen](https://www.facebook.com/unwomen)  
[www.twitter.com/un\\_women](https://www.twitter.com/un_women)  
[www.youtube.com/unwomen](https://www.youtube.com/unwomen)  
[www.flickr.com/unwomen](https://www.flickr.com/unwomen)